

الفصل السادس

الحياة الثقافية

الفقه- التجويد- الأدب- علماء مسيحيون- الطب- التنجيم- المكتبات- تطور

الكتابة الكوفية المزخرفة- جديد الكتابة السطرخيلية السريانية

الحياة الثقافية

لقد شهدت الحياة الثقافية في عهد الدولة الدوستكية إزدهاراً واضحاً للثقافة لإهتمام الدولة بها وينشر العلم ورعايتها لأهل العلم من الفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء. وكان للهدوء والإستقرار اللذين شهدتهما البلاد والرخاء والتقدم الإقتصادي والعمراي أثر واضح في الحياة الثقافية، وكانت من العوامل القوية التي ساهمت في دفع عجلة ثقافتها. ولهذا غصت مراكز العلم في دياربكر والعاصمة فارقين والجزيرة وطانزه (طنزه) وشاتان وأرزن وبدليس وغيرها من المدن، بأهل العلم من الأساتذة والطلبة، فتخرج منها فطاحل العلماء وكبار الادباء.

وقد جلب هذا التقدم في الحياة الثقافية أنظار أساتذة وطلبة العلم من خارج البلاد، فقدم العديد منهم الى البلاد الدوستكية كأستاذ يدرس في مدارسها أو كطالب يتلقى العلم فيها. ومن الذين أشاروا الى هذه الحركة الثقافية من المؤرخين إبن الأثير الجزيري، حيث ذكر إن نصرالدولة كان: "مقصد العلماء من سائر الآفاق وكشروا ببلادهم وممن قصده أبو عبدالله الكازروني، وعنه إنتشر المذهب الشافعي بدياربكر، وقصده الشعراء وأكثروا مدائحه وأجزل جوائزهم"^(١). وأشار الى تلك الحركة أيضاً إبن الجوزي الذي قال: "ووفد إليه -أي الى نصرالدولة- الشعراء وسكن عنده العلماء الزهاد"^(٢). وكما أشار إبن خلدون أيضاً بقوله ان نصرالدولة (قصده العلماء فمهد عنده مقامهم)^(٣). وكذلك أشار الى تلك الحركة الثقافية أيضاً المؤرخان الكرديان إبن خلكان^(٤) وأبو الفداء الأيوبي^(٥).

(١) إبن الأثير، الكامل، ج. ١٠، ص ٢٦.

(٢) إبن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٢٢.

(٣) إبن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٣١٩.

(٤) إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٧.

(٥) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٩.

أما الفارقي، فقد ذكر من الشعراء الذين قدموا الى البلاد ومدحوا نصرالدولة: أبا الحسن التهامي وصریح الدلاء علی بن عبدالواحد البغدادي. وذكر من الشعراء المقيمين في خدمته أبا الرضا ابن الطریف الفارقي، وابن السوداوي وابن الفطيري(٦).

أما ممن قدم من العلماء الى البلاد الدورستكية، فأبو حسن الأمدي علي بن محمد بن عبدالرحمن الحنبلي، وهو بغدادي الأصل ومؤلف كتاب (عمدة الحاضر وكفاية المسافر) في الفقه في أربعة مجلدات. قدم المذكور سنة (٤٥٠هـ = ١٠٦٨) إثر احتلال البساسيري مدينة بغداد وسكن مدينة دياربكر، ودرس بها الى أن توفي سنة (٤٦٧هـ = ١٠٧٦) في عهد الأمير نظام الدين(٧). ومنهم نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي مؤلف كتاب الانتخاب الدمشقي في بضعة عشر مجلداً، درس الفقه علی الكازروني والحديث علی هبة الله بن سلمان بمدينة دياربكر (آمد)(٨). ومنهم الحافظ مكي بن عبدالسلام بن الحسين الرميلي، وتلقى العلم بفارقين ودياربكر وهو واحد من حفظة الحديث(٩).

أما القاضي أبو منصور بن شاذان الطوسي، فقد قدم الى فارقين وتولى القضاء بها. وكذلك القاضي ابن جرجور هبة الله الشاذي المشرقي، الذي تولى القضاء بفارقين أيضاً كما ذكرنا في موضوع القضاء.

وقدم الى البلاد الدورستكية كذلك أطباء مهرة ومن أصحاب المؤلفات الطبية العديدة، مثل الطبيب المسيحي جبرائيل بن بختيشوع، وأبي نصر التكريتي وأخيه الطبيب أبي الفضل، كما سيأتي بالتفصيل. كانت الدولة الدورستكية ترتبط بالعاصمة العباسية بغداد بعلاقات ثقافية قوية، بالإضافة الى بلاد الشام ومصر. وكان الكثير من الطلاب يتوجهون من البلاد الدورستكية الى بغداد، لإكمال دراساتهم علی الغزالي وأبي إسحق الشيرازي(١٠) وابن الصباغ وغيرهم من كبار علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر للميلاد). ولا بأس أن نذكر هنا بعضاً من ذوي الصلة القوية بتاريخ العلم في العهد الدورستكي منهم: فخر الإسلام ابو بكر الشاشي الفارقي، أحد أئمة عصره في الفقه الشافعي. ولد بفارقين ودرس الفقه بجامع فارقين علی الكازروني، والقاضي أبي منصور بن شاذان الطوسي ودرس الحديث بمدينة دياربكر علی قاسم بن أحمد الخياط، ثم بعد عزل أستاذه الطوسي من القضاء سنة (٤٤٩هـ = ١٠٥٧م) ورجوعه الى ايران، توجه الشاشي الى بغداد ودرس الفقه علی أبي اسحاق الشيرازي وابن الصباغ. فبرع وذاعت شهرته واصبح مدرساً في المدرسة النظامية اكبر مدارس بغداد واشهرها. وله مؤلفات عديدة منها (الشافي في شرح الشامي) في

(٦) الفارقي، ص ١٤٤.

(٧) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، حوادث سنة ٤٦٥هـ. الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ١٤٧.

(٨) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٥٢.

(٩) نفس المصدر، ج ٥، ص ٣٣٣.

(١٠) هو إبراهيم بن علي بن يوسف، ولد بقرية فيروزآباد من قرى شيراز سنة ٣٩٣هـ، دروس بشيراز والبصرة. كان أكبر عالم في بغداد في حينه في الفقه الشافعي، توفي سنة (٤٧٦هـ = ١٠٨٤م).

عشرين مجلداً، وله آراء فقهية تفرد بها (١١). ومن هؤلاء العلماء أيضاً الشيخ أبو الغنائم الفارقي محمد بن الفرّج بن منصور (١٢). وحسن بن محمد بن أحمد الأمدي، وأبو علي الأمدي الحسين بن سعد بن الحسين اللغوي الشاعر والأديب (١٣)، وحجة الدين أبو عبدالله مروان بن علي بن سلامه بن مروان الطنزي (١٤). وإبن برهون الفارقي قاضي واسط (١٥)، ويحيى بن محمد الأرزني النحوي

(١١) هو ابو بكر بن محمد بن احمد بن الحسين الفارقي، وهو غير ابي بكر الشاشي محمد بن علي بن حامد وغير القفال الكبير محمد بن علي بن اسماعيل الشاشي، حيث ياتي ذكره بأبي بكر الشاشي القفال ايضاً. ولد الشاشي بفارقين سنة (٤٢٧هـ = ١٠٣٦م) وسمع الحديث ببغداد على يد ابي بكر الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد الكبير، وعلى القاضي ابي يعلي بن الفراء، كما سمع الحديث من الكازروني ايضاً. تولى التدريس في المدرسة النظامية سنة (٥٠٤هـ = ١١١١م)، ومن مؤلفاته (حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء ويعرف بالمستظهري لأنه ألفه للخليفة العباسي المستظهر بالله والمعتمد، و(الشافي) شرح مختصر المزني والفتاوي- مخطوط يعرف بفتاوى الشاشي) (العمدة في فروع الشافعية - مخطوط) و(تلخيص القول - مخطوط) و(الترغيب في المذهب الشافعي).

توفي الشاشي ببغداد سنة ٥٠٧هـ = ١١١٤م) ودفن مع شيخه الشيرازي وخلف ولدين، كانا من كبار العلماء وهما أحمد وعبدالله. وقد أطرى المؤرخون في وصفه وأطنب تاج الدين السبكي في ذكر آرائه الفقهية. وله ترجمة في معظم المصادر منها (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٦، ص٧٢، حتى ما بعد ص٧٨. والكامل لابن الأثير، ص٢٦٨، البداية والنهاية لابن كثير، ج١٢، ص١٧٧-١٧٨. والأعلام للزركلي، ج٦، ص٢١٠. وطبقات الشافعية، ص٧٢ لأبي بكر بن هداية الله المصنف الكوراني الكردي) وفي المصدر الأخير انه توفي سنة (٥٠٥هـ) وهي نفس السنة التي توفي فيها الغزالي وهو خطأ. كما ورد في بعض المصادر انه ولد سنة ٤٢٩هـ. اما نسبة (الشاشي) لهذا العالم الفارقي فلا أدري من أين أتت؟ هل إن اباه كان في الأصل من مدينة (الشاش) من بلاد ماوراء النهر أو انه إتخذها نسبة له تقليداً بالعالمين الشاشيين المذكورين اعجاباً وتيمناً بهما؟

(١٢) قدم بغداد مع أبيه بعد سنة (٤٤٠هـ = ١٠٨٤م) درس الفقه على يد الشيخ أبي إسحق الشيرازي، ثم عاد الى بلاده ثم سافر مرة أخرى الى بغداد وأكمل دراسته، وعاد فسكن مدينة الجزيرة ودرس بها. كان عالماً فاضلاً توفي على الأرجح سنة (٤٩٢هـ = ١٠٩٩م). راجع طبقات الشافعية للسبكي، ج٤، ص١٩٣.

(١٣) ولد ونشأ بمدينة آمد (ديار بكر) ودرس في كردستان، ثم قدم الى بغداد ودرس على يد القاضي أبي يعلي الفراء وأبي طالب بن غيلان. وسافر في طلب العلم الى بلاد الشام ايضاً، كما سافر الى إيران وسكن مدينة أصفهان وتوفي بها سنة ٤٤٤هـ = ١٠٥٢م). ذكر له ياقوت الحموي في معجم الأدباء، ج١، ص٦٦٦-٦٦٩ مقطوعات شعرية رقيقة منها:

وأهيف مهزوز القوام إذا إنثنى وهبت لعذري فيه ذنب اللوائيم
بشعر كما يبدو لك الصبح باسم وشعر كما يبدو لك الليل فاحم

راجع أيضاً السبوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٥٣١. والأعلام للزركلي، ج٢، ص٢٥٧ (الزركلي منسوب الى قبيلة زروكي زركي) (الزركلي في منطقة ديار بكر).

(١٤) كان حجة الدين مروان من سكنة بلدة طنزي (قرية طانزه). ولد ونشأ في بوتان وكان تلميذاً في أواخر العهد الدوستكي وتلقى العلم فيها وسافر الى بغداد ودرس على يد الغزالي وأبي بكر الشاشي الفارقي وقرأ الحديث على غيرهما. بعد إكمال دراسته رجع الى بوتان وأقام في بلدة (فناك) عند أمرائها، وكان يتردد رسولاً من قبلهم الى دار الخلافة العثمانية ببغداد. كان عالماً فاضلاً ذكياً كفوءاً ومقدراً. ذكر عدد من المؤرخين كالسبكي والاصبهاني والحموي انه اصبح وزيراً لعماد الدين زنكي بالموصل في اواخر حياة عماد الدين. توجد في طبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ترجمة حياة الطبيب. والفيلسوف ابن الصائغ الجزري قصيدة لابن الصائغ بمناسبة توليه الوزارة، كما ان لابن الصائغ رسالة باسم حركة العالم بمناسبة مغادرته كردستان الى الموصل، أي نفس المناسبة. هذا وكان لابن مروان الطانزي قابلية على قرض الشعر وذكر له الاصبهاني مقطوعات شعرية رقيقة وعديدة ومعظمها في الحكم، منها قوله في وضع نفوذه في خدمة أقاربه: =

اللغوي الخطاط (١٦). ومن هؤلاء أيضاً أبو الحسن حمدون بن علي الهيزاني (١٧).

وفضلاً عن هذا كان علماء كردستان يستعينون بعلماء بغداد في حل بعض المسائل المستعصية كالمسائل التي أرسلت من قبل بعض علماء فارقين الى القاضي أبي يعلى الفراء -محمد بن الحسين- ببغداد (١٨).

الفقه

كان الفقه الإسلامي يدرس في كردستان في العهود السابقة، ولم يك مقصوراً على مذهب معين من المذاهب الأربعة: الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية، بل كان يدرس بشكل مختلط، أي كان يتم تدريس كل من الفقه الشافعي والحنبلي والحنفي والمالكي من قبل المتمذهبين به. ولم يستقر في

=إن لم يكن جاهي لقومي نافعاً ومالي مضمون به عن اقاربي

فلا كان ذاك الجاه والمال اتسه برغمي مذخور لبعض الأجانب

ان البيت الأول غير سالم عروضياً وغير مطابق للبيت الثاني في بحره لما وقع فيه من خطأ أو خطأ، وأظن أن الصحيح (مضموناً). كانت أسرة مروان هذه أسرة علم وفضل، ويحتمل أن القاضي أبا بكر محمد بن مروان بن عبدالله الطنزي المولود سنة ٤٠٣هـ = ١٠٢١م) من نفس الأسرة. راجع عمادالدين الاصبهاني (خريدة القصر، ج ٢، ص ٤٠٧-٤١٥: قسم شعراء الجزيرة وفنك)، والحموي، معجم البلدان، ج ٦، ص ٦٢، والسبكي، طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٠٩، وابن الأثير، اللباب في الأنساب، ج ٢، ص ٢٢٤.

(١٥) ابن برهونك هو حسن بن إبراهيم بن علي بن برهون، ولد بفارقين سنة (٤٣٣هـ = ١٠٤٢م). نشأ ودرس بها وقرأ الفقه على يد الكازروني. بعد وفاة أستاذه توجه الى بغداد ودرس على أبي إسحق الشيرازي بالمدرسة النظامية وعلى ابن الصائغ. برع في الفقه وتولى القضاء بمدينة واسط، وكان قاضياً عادلاً وصریحاً في كلامه يقول الحق في وجه الأمراء ولا يعرف المساومة معهم. عُزل عن القضاء وتوفي بواسط سنة (٥٢١هـ = ١٢٨م). وصفه السبكي بأنه كان أحفظ أهل زمانه في الفقه الشافعي. راجع ابن شاکر الكتبي، عيون التواريخ، ج ١٢، ص ٢٧٧، وذكر له أيضاً كتاب (الفوائد على المذهب) وتاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٢٠. ابن خلکان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٤٣. عباس القمي، الكنى والألقاب، ج ٣، ص ٥. المصنف الكوراني، طبقات الشافعية، ص ٧٥. إسماعيل باشا بابان، هدية العارفين، ج ١، ص ٢٧٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٣٧. محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ج ١، ص ١٧٤. الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٩٢. عبدالرقيب يوسف، أعلام من مشاهير الكرد وكردستان (مخطوط). جدير بالذكر ان بعض المؤلفين خالف في تاريخ وفاته، كما خالف السيد محمود ياسين في الإمارة المروانية، ص ١٩٥ بقوله انه رجع الى آمد وتوفي بفارقين.

(١٦) كان الأرزني مليح الخط سريع الكتابة يخرج العصر يوماً الى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب كتاب الفصيح للشعلب ثم يبيعه بنصف دينار. وكان إضافة لكونه خطاطاً إماماً في اللغة على ما وصفه ياقوت الحموي. وله تأليف باسم مختصر النحو. توفي الأرزني سنة (٤١٥هـ = ١٠٢٤م). راجع محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي، ص ٢٩٢. الزركلي، الأعلام، ج ٩، ص ٢٠٧. عبدالرقيب يوسف، أعلام من مشاهير الكرد وكردستان، مخطوط.

(١٧) ابن الأثير، اللباب مادة حيزاني.

(١٨) حل أبو يعلى المسائل الموجهة إليه من العاصمة الدوستكية في كتاب سماه (رسالة في جوابات مسائل وردت من ميفارقين). راجع الأحكام السلطانية، لأبي يعلى، مقدمة الناشر. وكان أبو يعلى أكبر علماء الحنابلة في العراق بلا منافس، ولهذا نظن ان المسائل الموجهة إليه كانت حول أمور فقهية من المذهب الحنبلي. توفي ابو يعلى سنة (٤٥٦هـ = ١٠٦٥م).

كردستان الوسطى حتى النصف الأول من عهد الدولة الدوستكية أي مذهب منها. وفي رأيي ان كلها كانت موجودة فيها ولو على غير مستوى واحد. وقد أشار المقدسي الى وجود المذاهب الحنفية والشافعية وكذا الحنبلية بدرجة أقل في إقليم الجزيرة (١٩).

وأدخل المقدسي كل البلاد الدوستكية ضمن هذا الإقليم عدا بدليس الى أرديش وملازگر. ويحتمل أن مذهب الأوزاعي قد دخل كردستان الوسطى أيضاً من بلاد الشام. وكان لهذا المذهب نوع من النفوذ في القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي). وقد دخلت كردستان مذاهب فقهية أخرى قد انقرضت مثل مذهب داود ومذهب سفيان الثوري، وكان للأخير نفوذ قوي في مدينة (دينور) كبرى مراكز العلم في كردستان الشرقية حينها، وذلك في القرن العاشر الميلادي على ما ذكره المقدسي (٢٠). وكان أبو بكر عبدالغفار بن عبدالرحمن الدينوري (توفي في ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م) آخر من أفتى بجامع المنصور ببغداد على مذهب سفيان الثوري (٢١).

أما كردستان إيران وحتى شهرزور من إقليم الجبال، فكانت فيها مذاهب مختلفة لم يستقر فيها مذهب من المذاهب. وكان أهل الحديث من اذربيجان وارمينيا، وكانت مشتملتين على جزء من البلاد الكردية، من الحنابلة على ما هو واضح من كلام المقدسي (٢٢).

وكان شأن كردستان الوسطى كشأن كردستان إيران في وجود مذاهب مختلفة. هذا وكان القضاء في الدولة الدوستكية الى النصف الأول من عهدها حراً غير مقيد بأحد المذاهب، وإنما كان يسير وفق المذهب الذي يتمسك به القاضي، أو أن القاضي كان يجتهد في أحكامه، أو وفق المتمذهبين بكل واحد منها. وقد ذكر ابن شداد ان في فارقين مدرسة للحنابلة عند باب الجامع، ومدرسة للحنفية أنشأها شهاب الدين غازي الأيوبي وأخرى للشافعية أنشأها ابن الفقاعي عثمان (٢٣). أما في النصف الأخير من العهد الدوستكي، فقد تغلب المذهب الشافعي وإستقر في البلاد بفضل مدرسة فارقين للفقه الشافعي، التي تزعمها أبو عبدالله محمد بن بيان بن محمد الكازروني. فإنه كما ذكره عدد من المؤرخين نشر هذا المذهب في إقليم دياربكر كما مرت الإشارة اليه (٢٤) وكان الكازروني (٢٥) العالم

(١٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٤٢.

(٢٠) نفس المصدر، ص ٣٩٥.

(٢١) نفس المصدر، ص ٣٩٥.

(٢٢) المقدسي، ص ٣٩٤-٣٩٧.

(٢٣) مخطوطة الأعملاق الخطيرة، القسم الخاص بالجزيرة ورقة (٧٤) في الورقة (١٢٤) ورد إسم فخرالدين محمد بن الفقاعي الوزير أي وزير الملك الكامل الايوبي امير فارقين. قتل فخرالدين من قبل المغول أثناء إحتلال فارقين في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٦٥٧ هـ.

(٢٤) راجع ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٦.

(٢٥) قال السبكي ان الكازروني سكن آمد، كما ذكرناه ودرس بجامع فارقين، أي انه انتقل اليها وهو ينسب الى مدينة كازرون الواقعة في إقليم فارس، ولا نعلم متى وصل الى البلاد الدوستكية. توفي بفارقين سنة (٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م) وكان قبره ولم يزل مشهداً يزار الى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. فقد ذكر ابو الحسن الهروي في كتابه (الإشارات الى معرفة الزيارات، ص ٦٤-٦٥) ان من بين اماكن الزيارة في فارقين قبر محمد بن بيان رفيق ابي اسحاق =

الذي لايبارى في كردستان الوسطى، فكان له أصحاب وتلاميذ ساعدوه في إستقرار المذهب الشافعي وانتصاره. ومن كبار أصحاب الكازروني، القاضي أبو بكر بن صدقة، الذي تولى القضاء بفارقين كما ذكرنا في موضوع (القضاء). وغلبة المذهب الشافعي في كردستان الوسطى لاتعني أن المذاهب الأخرى قد إنتهت فيها. فقد أنشئت مدرسة للحنابلة في فارقين في العهد الأيوبي. وفي رأيي أن المذهب السني الأشعري(٢٦) إستقر في كردستان الوسطى بواسطة مدرسة فارقين للفقه الشافعي وبواسطة الكازروني وتلامذته أيضاً، حيث لم يكن مستقراً فيها قبل العهد الدوستكي. ساند الشافعيون المذهب السني الأشعري، ولهذا نجد أن ابن الأثير يستغرب من القاضي أبي الحسين بن أبي جعفر السمناني كيف انه كان حنيفياً ومتعصباً في نفس الوقت للمذهب السني (الأشعري)، وكان قد أغناه بالكثير من مؤلفاته(٢٧).

ومن فقهاء الدولة الدوستكية أيضاً شيخ الإسلام أبو عبدالله بن مروان وأبو بكر محمد بن مروان بن عبدالله الطنزي(٢٨)، وعمر بن ثابت الثمانيني تلميذ النحوي الشهير ابن جني(٢٩) والشيخ أبو محمد بن المحور الفارقي، وهبة الله سليمان الأمدي، وابو عبدالله بن زيدان وابن عامر وابن مساعد، وشريف بن ابي السخاء وابو الحسن أحمد بن القاضي ابي علي البغل، وابو طاهر محمد بن الخطيب المشهور بعبدالرحيم ابن نباته الفارقي خطيب جامع فارقين، والخطيب ابو القاسم يحيى بن طاهر بن محمد بن نباته، وابن عقيل خطيب الجامع الكبير في دياربكر، وابو العلاء المتكلم قاضي نصيبين، والقاضي ابو عبدالله بن سلمه المالكي، والقاضي حسن بن منذر (ويقال انه بغدادى الأصل) وغيرهم من قضاة الدولة الدوستكية، من الذين عثرنا على معلومات عنهم ومجموعهم ثلاثة عشر قاضياً، بالإضافة الى غير هؤلاء من العلماء الأفاضل مثل الشيخ (ممك الفنكي)(٣٠) وأحمد بن عمار بن

=الفيروزآبادي، أي أبي اسحاق الشيرازي. وقال محمد بن شاکر الكتبي في (عيون التواريخ، ج١٢، ص٢٧٧) في ترجمة ابن هربون ان الكازروني كان تلميذ المحاملي. ومن تلامذة الكازروني شيخ الاسلام الروياني عبدالواحد بن إسماعيل صاحب المؤلفات الكثيرة، وعبدالجليل بن عبدالجبار المروزي قاضي دمشق المتوفي سنة (٤٧٦هـ = ١٠٨٤م) ونصر بن ابراهيم بن فارس الازدي وابو الغنائم عبدالرزاق العدوي وعبدالله بن الحسن بن النحاس وابو بكر الشاشي الفارقي، ونصر بن ابراهيم المقدسي وغيرهم. يظهر ان الكازروني لم يكن ميالاً الى التاليف، بل كان يصرف وقته في التدريس ولهذا لم نجد له سوى كتاب (الإبانة) في الفقه الشافعي، الذي أورد ذكره اسماعيل باشا بابان في (هدية العارفين، ج٤، ص١٢٢، ج٥، ص١٠٠).

(٢٦) هو علي بن اسماعيل بن اسحاق الاشعري المتوفي سنة (٣٢٤هـ = ٩٣٦م). كان من أئمة علم الكلام وله مؤلفات كثيرة ويقال أنها بلغت الثلاثمائة.

(٢٧) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١١٩-١٢٠.

(٢٨) ذكره ابن الأثير في الكامل، ج٩، ص١٩٢. وقال ان مولد الطنزي كان في سنة ٤٠٣هـ. وقد روى الطنزي الحديث عن أبي جعفر السمناني. وذكره أيضاً ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج٦، ص٦٢. في مادة (طنز). ويحتمل انه شيخ الإسلام ابن مروان الذي ذكره ابن الاثير بكنية ابي عبدالله في حوادث سنة (٤٤١هـ)، هو الذي أوفده نصرالدولة الى السلطان طغرل لإطلاق سراح ملك الأبخاز، وكان الامبراطور البيزنطي قد توسط بنصرالدولة لإطلاق سراحه.

(٢٩) كان من سكان قرية ههشتيان (ثمانى) الواقعة في السفح الشمالي لجبل الجودي.

(٣٠) هو الشيخ محمد البشنوي المعروف بالشيخ ممك وصفه ابن الاثير في اللباب، ج١، ص١٢٨ بالشيخ الصالح وقال توفي قبيل سنة (٤٠٠هـ). ما زال قبره في فنك معروفاً خلف المضيق ومقابل القلعة من الشرق، وقد صورت قبره في=

مظفر البديسي. راجع موضوع القضاء والخطابة. وأبي الحسن حمدون الهيزاني، وكان ممن روى عنه أبو بكر الشاشي الفارقي (٣١).

وهنا تجدر الإشارة الى أسرة فارقية إرتقى أبنائها الى مناصب رفيعة في الدولة الفاطمية بمصر في العهد الدوستكي، وأعني بهم الوزير عبدالكريم بن عبدالحاكم بن سعيد الفارقي، الذي تجمعت في يده ثلاث وظائف مهمة هي وظيفة قاضي القضاة، وداعي الدعاة والوزارة، حيث أصبح وزيراً للخليفة المستنصر بالله (٣٢)، كذلك إرتقى الى هذه المناصب الثلاثة أخوه أحمد بن عبدالحاكم (٣٣)، علماً بأن داعي الدعاة كان يوجه الدعاة الرسميين للمذهب الإسماعيلي الشيعي ويشرف على أعمالهم. أما عبدالحاكم نفسه فكان قاضياً لطرابلس، ثم إنتقل الى مصر سنة (٤١٩هـ = ١٠٢٨م) وتولى القضاء فيها (٣٤).

إن أول من تقلد القضاء بمصر من هذه الأسرة هو مالك بن سعيد، وذلك سنة (٣٩٨هـ = ١٠٠٧م) وقد علت منزلته عند الخليفة الفاطمي (الحاكم) الى درجة لم يبلغها غيره من القضاة. وكانت لملك سيرة حميدة وله أخبار طريفة في العدل والجود والبر ومساعدة الفقراء، وفي الحلم ورقة القلب وغيرها من مكارم الأخلاق. ورغم أن الخليفة الفاطمي اعتمد عليه كثيراً ومنحه سلطات واسعة، حيث كلفه بمهمة الإشراف على الإقطاعات الواسعة والسجلات والإشراف على كتب العمال ومراسلة دعاة الدعوة الفاطمية، الا انه قتله ظملاً سنة (٤٠٥هـ = ١٠١٤م) (٣٥).

= ١٩٧٧/٧/١٣. وتسمى المقبرة التي يوجد فيها قبره بمقبرة شيخ ممك (زيارته شيوخ ميمك). حول قبره سياج من الأحجار وفي الطرف الشمالي من قبره كهف صغير فيه محراب يسمى (خلوة شيخ ممك). لقبره إحترام زائد يزوره الناس. وقد رأيت في الكهف امتعة متروكة هناك، فلما سألت عنها، قال لي بعض سكان فنك انها لبعض عوائل القبائل الرجل (كوچهر) تركوها هناك منذ توجههم الى الزوزان حسب عاداتهم لأنه مكان أمين، فقد تركوها في ذمة (شيخ ميمك) ولا يأخذ أحد منها شيئاً. وعندما يرجع أصحابها في الخريف يأخذون أمتعتهم. وكانت تسكن فنك سبع عشرة عائلة تقيم في كهوفها، بينما كانت في الماضي مدينة ذات أسوار.

(٣١) السمعاني، الأنساب ورقة (١٨٣) مخطوط في مكتبة مديرية الآثار ببغداد.

(٣٢) علي بن منجب، الإشارة فيمن نال الوزارة، ص ٤٨، سيرة المؤيد، ص ٤٨، طبعة ١٩٤٩. الأعلام للزركلي، ج ٤، ص ١٧٧. ذكر ابن المنجب ان عبدالكريم تولى الوزارة سنة ٤٥٣هـ = ١٠٦١م وعزل وتوفي في السنة التالية. راجع أيضاً ابن أبيك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، ص ٣٧٥.

(٣٣) ابن المنجب، الإشارة فيمن نال الوزارة، ص ٥٠. سيرة المؤيد، ص ٤٩. وابن حجر العسقلاني، رفع الأصر، ص ٧٨. ذكر الأول انه تولى الوزارة مرتين في سنة ٤٥٥هـ ونكب وعوقب وذهب الى الشام وتوفي هناك. راجع أيضاً ابن أبيك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، ص ٣٧٥-٣٧٧.

(٣٤) ابن المنجب، ص ٤٨. وأبو عمر أحمد بن يوسف الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٩٦: ذيل أحمد بن عبدالرحمن بن برد. الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٤٩. لقد ذكر العسقلاني في رفع الاصر ص ٨٣-٨٥ شخصاً آخر من هذه الأسرة وهو أحمد بن عبدالكريم بن عبدالحاكم تولى القضاء والوزارة سنة ٤٥٥هـ وفوضت اليه الوزارة عدة مرات. راجع أيضاً ابن أبيك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، ص ٣٧٥-٣٧٧.

(٣٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٩٦-٦٠٣. ذكر له العسقلاني ترجمة واقية في (رفع الأصر) الملحق بالولاة والقضاة وذكره العسقلاني هكذا: مالك بن سعيد بن مالك. أما أحمد بن عبدالرحمن، ص ٤٩٦ من (الولاة والقضاة)، فذكره بإسم مالك بن سعيد بن سعيد. ويخصوص أخبار آل الفارقي، راجع المقريزي (إعطاء الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) في الصفحات (٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣١٢، ٣٣٣).

التجويد

لاشك أن علم التجويد (٣٦) كأحد العلوم كان يدرّس في البلاد الدوستكية، ولكن لم تصل إلينا معلومات مفصلة بصدده عدا بعض الإشارات حوله. فقد ذكر الفارقي ان الشيخ أبا البركات والد القاضي أبي المرجا (كان مقرئاً مجوّداً عالماً من أصحاب المصري الذي ورد الي ميافارقين) (٣٧)، واتى غير مرة بذكر القراء بجانب الشعراء. والقراء هم الذين يجيدون قراءة القرآن حسب قواعد التجويد ومنهم من له معرفة بالتجويد ومنهم من هو عالم في هذا المجال كأبي البركات الذي كان عالماً فاضلاً في علم التجويد وغيره. ويظهر من كلام الفارقي انه كان متضلعا في علم التجويد وملماً بالقراءات.

ويستفاد من ذلك ان ذلك العالم المصري الذي لم يذكر الفارقي اسمه كان من علماء التجويد، قدم البلاد ودرس هذا العلم وعمل على توسعه. ونستنتج من كلمة (الأصحاب) كمصطلح يطلق على أنصار كبار العلماء والائمة، الذين يعتبر كل واحد منهم اماماً في اختصاصه ومؤسساً او متزعماً لمذهب من المذاهب يعمل على نشره او تثبيته. إذ يقال ان العالم الفلاني من اصحاب الشافعي او الاشعري او ابي اسحاق الشيرازي أو الكازروني. فمثلاً تزعم الأخير المدرسة الشافعية في كردستان الوسطى، أي نشر المذهب الشافعي فيها، ثم تزعمها بعده القاضي ابي بكر بن صدقة. ولهذا أطلق الفارقي لفظ (الأصحاب) على أصحاب الأخير أيضاً. وفي ضوء التفسير الصادق لهذا المصطلح، نعلم أن ذلك العالم المصري تزعم مذهباً أو علماً في البلاد، وأقرب الاحتمالات عندي أنه انتزع زعامة مدرسة التجويد فيها وكان له بدون شك تلامذة ومؤيدون في مجال إختصاصه. وتشير كلمة (الأصحاب) أيضاً الى ما هناك من جدل وخلاف ومؤيدين ومعارضين.

من المحتمل ان ذلك العالم تزعم نشر وتثبيت القراءات السبع او بعضها في البلاد الكردية، كقراءة حفص المتبعة في كردستان الى الآن. علماً بأن مذاهب التجويد التي تسمى بـ(القراءات)، الشاذة منها او الصحيحة السبعة، مرت هي الأخرى كالمذاهب الفقهية والكلامية، بدور الخلاف والنقاش الى أن انتصرت القراءات السبع في القرن العاشر الميلادي، واعتبرت القراءات الاخرى شاذة غير شرعية. وقد ظهر في مصر إهتمام بالتجويد في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، وألف المصريون مؤلفات فيه (٣٨).

(٣٦) التجويد: علم يعرف به إعطاء كل حرف حقه من الصفات وغيرها كالترقيق والتفخيم والجهر والرخو والإستطالة وغيرها من صفات الحروف السبع عشرة، وغايته إتقان لفظ القرآن في القراءة والتجويد هو علم الأصوات ومخارجها.

(٣٧) الفارقي، ص، ٢٨٠. القاضي أبو المرجا هو يحيى بن الضرير كما تكرر ذكره يظهر ان البركات كان عالماً ضريراً تولى القضاء بعد سقوط الدولة الدوستكية سنة ٥٠٧ هـ في دولة شاه أرمن التي أسسها في خلاط وماوراها سگمان القطني وهو غير القاضي ابي المرجي سعادة بن الحسين.

(٣٨) آدم منز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ١، ٢٧٤.

الأدب

لقي الأدب في الدولة الدوستكية اهتماماً غير قليل، ونقصد بالأدب الأدب العربي، حيث لم أجد شيئاً عن الادب الكردي. ولهذا يعد بابا طاهر الهمداني أول شاعر كردي معروف في كردستان الشرقية بعيداً عن بلادها. وكان شأن كردستان في الإهتمام بالادب العربي آنذاك شأن غيرها من البلدان الإسلامية غير العربية. فقد كانت العربية لغة القرآن هي لغة الثقافة في جميع تلك البلدان من الأندلس (أسبانيا) وحتى أقصى بلاد ما وراء النهر (تركمانيا) والى حدود الصين، إلا أن الأدب الفارسي كان قد بدأ في الظهور في هذه الفترة بالذات على يد الرودكي والفردوسي. ولهذه الحقيقة نحن لانستطيع ان ننتقد الدولة الدوستكية لعدم تشجيعها الادباء الكرذ على التأليف وقرض الشعر باللغة الكرذية، إذا ما نظرنا الى المسألة بمنظار ذلك العصر. وفيما يلي عدد من أدباء وشعراء الدولة الدوستكية:

المنازي

كان ابو نصر أحمد بن يوسف المنازي كاتباً بارعاً واديباً لامعاً وشاعراً رقيق الطبع، تولى ديوان الرسائل والإنشاء في الدولة الدوستكية، وكانت تلك وظيفة مهمة بمنزلة وزارة الخارجية الحالية وكان معتمداً لدى الأمير نصرالدولة، وقد أرسله مراراً في السفارة الى العاصمة البيزنطية. ذكر عدد من المؤرخين كالاصبهاني وابن كثير وياقوت الحموي، ان هذا الشاعر تولى الوزارة في الدولة بعد وفاة الوزير ابي القاسم المغربي (٣٩).

سافر المنازي الى كل من بلاد الشام والعراق واجتمع بأبي العلاء المعري كبير شعراء عصره في كل منهما. وكان المنازي يأتي باللفظ السلس والمعنى الرقيق، وقد اعجب به ابو العلاء المعري حتى قال له (أنت أشعر من بالشام)، وذلك حينما عرض عليه مقطوعته الشعرية المعروفة (٤٠) والتي أولها:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم

ويقال انه لما زار المعري ببغداد بعد ذلك بخمس عشرة سنة، قرأ عليه مقطوعته الشعرية التي أولها:

لقد عرض الحمام لنا بسجّع (إذا أصفى له ركب تلاحى (٤١))

قال له المعري (ومن بالعراق)، أي انت اشعر من بالعراق عطفاً على قوله السابق (أنت اشعر من

(٣٩) الاصبهاني، خريدة القصر، ج٢، ص٣٤٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٤. الحموي، معجم البلدان، ج٧، ص١٦٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤٤. شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، ج٢، ص٧٦٥ باللغة التركية.

(٤٠) انشد المنازي مقطوعته الشعرية هذه في وصف وادي بُراغا بين منبج وحلب. وقال بعض المؤرخين كالرعيبي الأندلسي قولاً مفاده ان هذه المقطوعة لحمدة بنت زياد الأندلسية. ولم يقل بهذا غيره مع ان مؤرخي الشرق متفقون جميعاً أنها للمنازي.

بالشام)، الذي كان قد قاله له قبل خمسة عشر سنة. وقد أورد هذا عدد من المؤلفين متخذين ذلك دليلاً على ذاكرة المعري الخارقة (٤٢).

ومن أشهر مقطوعات المنازي الشعرية، المقطوعة التالية التي إتخذها عديد من المؤلفين مثلاً للرقعة والبلاغة:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحة فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زللاً ألد من المدامة للنديم
يراعي الشمس أنى قابلتها فيحجبها ليأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وقال المنازي في غلام له طويل وبليد:

ولي غلام طال في دقة كخط إقليدس لا عرض له
وقد تناهى عقله خفة فصار كالنقطة لاجزء له

وذكر المؤرخون للمنازي ديوان شعر نادر وحاول كثيراً القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي الحصول على نسخة منه، فلم يظفر بذلك. وأغلب الإحتمالات أن ديوانه مفقود. وكان المنازي إضافة الى كونه أديباً شاعراً، عالماً إشتغل بالتدريس أيضاً ومن درس عليه سعيد بن عبدالله بن بندار والد الشاعر علم الدين الشاتاني. توفي المنازي في فارقين سنة ٤٣٧هـ = ١٠٤٦م) وكان من أهل منازجرد الواقعة في منطقة خربوت أو (ملازگرد) المشهورة (٤٣).

(٤١) وتام المقطوعة:

شجى قلب الخلي فقبل غنى وبرح بالشجي فقبل ناحسا
وكم للشوق في أحشاء صب إذا إندملت أجد له جراحاً
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحا
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المها مرضى صحاحا

(٤٢) ممن ذكروا ذلك ابن خلكان والحموي وكذلك ابن العماد في (شذرات الذهب، ج٢، ص٢٥٩). راجع عن المنازي أيضاً شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، ج٢، ص٧٦٥ باللغة التركية. والذهبي، العبر في خبر من غير، ج٧، ص١٨٧. تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٣٤٩. تاريخ الفارقي، ص١٣٠. أحمد تيمور باشا، حياة المعري. الزركلي، الأعلام، ج١، ص٤٥٨. راجع أيضاً موضوع ديوان الرسائل من كتابنا هذا وكذا دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، ج١، ص٢٥٣.

(٤٣) يرى بعض المؤرخين أنه من منازجرد (ملازگرد) المدينة المعروفة، أما ابن خلكان فينبغي هذا ويقول بالقول الأول علماً انه توجد في المنطقة الواقعة شرق العزيز بلدة باسم (مازگرد) وهي مركز قضاء في ولاية تونجه لي مركز ديرسيم، وزاد ابن خلكان له نسبة (السليكي) والسليكي (قلعة سليك) تقع قرب بينگول (جبل جور - جبججور) وتسمى الآن سلكان (سهلهكان) وفي شرفنامه (ص٣٤١) ذكر لقلعة سليك.

حسين بن داود الفنكي

كان الأمير حسين من الأسرة المهرانية الحاكمة في فنك، مركز الامارة البشنوية التي كانت تضم القسم الشمالي من بوتان. وكان البشنوي شاعراً مبدعاً وصفه ابن الاثير بشاعر بني مروان (٤٤)، يحتمل أنه أول شاعر كردي نجده يفتخر ويعتز بشعبه وأمجاده من امراء فنك، اذ نجده في القصيدة التي رثى بها الأمير باد مؤسس الدولة الدوستكية، يعتز بكونه من الكرد البشنويين من انصار ومخلصي الدولة الدوستكية والمساهمين في تأسيسها. ويشير الى الانتصار الذي احرزه الأمير باد في المعركة الحاسمة، التي نشبت عند قرية باجلي (باجلايا) على خابور زاخو بينه وبين قوات الدولة البويهية، حيث أشار الى أن الانتصار كان بفضل البشنويين بقوله:

بباجلايا جَلونا عنه غُمَّتُهُ ونحن في الرَّوعِ جلاؤون للكربِ

كما نجده يشير في إحدى قصائده الى إباء أجداده من بني مهران وشجاعتهم وكونهم لم يقبلوا الذل في يوم الأيام، فيقول في قصيدة لامية:

إن يعرف الناسُ رسمَ الذلِّ في جهةٍ فالذلُّ عند بني مِهْرانٍ مجهولٌ

ثم يشيد بمفاخر الكرد التي اجتمعت في أجداده فيقول:

مفاخر الكرد في جدودي ونخوة العرب في إنتسابي (٤٥)

الأمير حسين بما أشتهر في القرون الوسطى من أن الكرد ينتمون الى أصل عربي وبهذا يقصد في المصراع الثاني من بيته الشعري (٤٦).

هذا وقد ذكر المؤرخون ان للبشنوي ديوان شعر كبير، وكتاب الدلائل، والرسائل البشنوية. وقد بذلت من جهتي جهداً كبيراً وراجعت الكثير من المكنيات وفهارس المخطوطات، فلم أجد لمؤلفاته الثلاثة ذكراً يدل على وجودها الآن. ويظهر ان البشنوي قد جمع رسائله التي أرسلها الى أصدقائه في كردستان وخارجها. ومما يتوقع ان من بينها رسائل رسمية ألفت بإنشائه لأمرء فنك. وأرى أن لرسالته أهمية كبيرة لو عثرنا عليها، فلاشك أنها تضم معلومات عن عصره. وله مقطوعات شعرية كثيرة في عدد من المصادر ومعظمها في التشيع، ولهذا فإن مؤرخي الشيعة إعتبروه من شعرائهم كما ذكرنا في موضوع التشيع. وقد توفي الأمير حسين البشنوي سنة (٤٦٥هـ = ١٠٧٣م) أو بعد ذلك بسبع سنوات عند بعض المؤرخين (٤٧).

(٤٤) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٧٢، حوادث سنة ٣٧٣. ذكر ابن الاثير هنا ثلاثة ابيات من القصيدة التي رثى بها البشنوي الامير باد (باد) بن دوستك ذكرناها في الجزء الأول، ص٩٣.

(٤٥) عماد الدين الاصبهاني، خريدة القصر، ج٢، ص٤٥١.

(٤٦) يتوضح الأمر أكثر حيث يقول في البيت الأخير من قصيدته اللامية:

نحن الذؤابة من كرد بن صعصة من نسل قيس لنا في المحتد الطولُ

(٤٧) محمد بن علي بن شهراسوب، معالم العلماء، ص٤٢. محسن العاملي، أعيان الشيعة، ج٢٨، ص٣٣. ابن الاثير، اللباب في تحرير الانساب، مادة (الفنكي). أغا بزرك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج١٠، ص٢٤٤.

محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ج١، ص١٨٦.

إبن أسد الفارقي: أدبه وإنتفاضته الشعبية

هو ابو نصر حسن بن اسد بن حسن الفارقي. كان عالماً وشاعراً كبيراً، تولى الوزارة لآخر الملوك الدوستكيين ناصر الدولة منصور في الفترة الثانية من حكمه. لُقّب بمحي الدين وكان له الفضل في إحياء الدولة لشهور قليلة. تولى ديوان الجباية في آمد، وإثر القضاء على الدولة الدوستكية سنة (٤٧٨هـ) من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه، تم إعتقاله من قبل السلاجقة ربما بسبب معارضته للإحتلال السلجوقي. وفي سنة (٤٨٥هـ = ١٠٩٣م) إثر وفاة ملكشاه، حدثت مناوأة بين السلطان (بركياروق) بن ملكشاه وعمه (تُتش) الظالم وفرغت فارقين من السلطة السلجوقية. فإختلف سكان المدينة، فقد أحب بعضهم إحياء الدولة الدوستكية، بينما رفضها قسم آخر. فضبطت المدينة من قبل طبقة الأغنياء وكتبوا الى بركياروق ليرسل إليهم أحد قادته كي يسلموه المدينة. ولما يتسوا من بركياروق أرسلوا وفداً منهم الى (تُتش)، حينما كان يحاصر نصيبين للغرض نفسه.

كان يتزعم الوفد القاضي أبو بكر بن صدقة السعدي، ولكن إبن أسد الشاعر الوطني شكّل حركة شعبية من تلامذته وشباب فارقين، فأخذ السلطة من يد الأغنياء في المدينة، بهدف النضال ضد الإحتلال الأجنبي السلجوقي وتحرير البلاد وإحياء الدولة الكُردية. وكان ناصر الدولة منصور قد وصل من قرية (حربى) الواقعة شمال بغداد التي أسكنه ملكشاه فيها الى مدينة الجزيرة وإسترجعها، وإتفق مع بني عقيل على صد زحف تتش. فطلب منه إبن أسد أن يتوجه الى فارقين ليتسلمها. فجاء ناصر الدولة وإستلمها في أول سنة ٤٨٦هـ وإتخذها عاصمة للدولة كالسابق وجعل إبن أسد وزيراً له. ولكن لم تمض على ذلك أكثر من خمسة أشهر، حتى جاء تتش وإحتل مدينة آمد ثم ميفارقين. وكان قد إحتل نصيبين وأقام فيها مذبحه فظيعة وإعتدى جيشه على شرف نساؤها. ثم خلع تتش على القاضي بن صدقة السعدي وأضاف قرية قلوبح (كولفا) القريبة من فارقين الى إقطاعات القاضي، مكافأة له على إخلاصه للحكم السلجوقي. فإختفى إبن أسد أكثر من سنة ثم ذهب الى تتش وهو في (حران) لكي يعفو عنه، لكن بعض الحاضرين حرضوه على قتله، فقتله تتش وذلك في سنة (٤٨٧هـ). كان إبن أسد شاعراً محبوباً لدى الجماهير فحزن عليه والي فارقين من قبل تتش الوزير الأسبق لناصر الدولة أبو طاهر الأنباري، الذي كان مخلصاً للدولة الدوستكية، وإستنكر ذلك وترك وظيفته وسار الى خربوت، ثم قتل تتش أبا طاهر مع إبنه (٤٨).

أما حركة إبن أسد الشعبية، فنستطيع تسميتها بـ(حركة الفتوة)، فهي شبيهة بأهدافها الى حد ما بـ(الفتوة) في بغداد وبحركة (الأحداث) في دمشق وحلب في العهدين العباسي والفاطمي (٤٩).

هذا عن حياة إبن أسد السياسية. أما عن حياته الأدبية، فنستنتج من كلام الفارقي بأنه تزعم مدرسة الأدب في فارقين. فقد كان من أبرز الأدباء وله شطارة وجسارة وجمع كبير من التلامذة ونفوذ

(٤٨) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٢٢٢. السيوطي، بغية الوعاة، ص ٢٨١. الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٩٨.
(٤٩) راجع الفارقي، الصفحات ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨ و ٢٤٠ وموضوع (الحياة الإجتماعية). والجزء الأول ص ٣١٥ - ٣١٧، الطبعة الأولى. كان الوفد ماعدا القاضي يتكون من: الشيخ أبي سالم يحيى بن حسن بن محمد بن محور، والشيخ عبدالله ابن زيدان، وإبن مساعد، وإبن بلق وآخرون. أما ما ذكره الفارقي من أن إحتلال تتش لفارقين كان في ربيع الأول (٤٨٦هـ)، فهو خطأ لأنه وقع بعد هذا التاريخ =

قوي بين الشباب والطبقة الكادحة. وصفه المؤرخون بما يدل على تضلعه في اللغة العربية وقواعدها وفي فنون الأدب، فقد قال عنه ياقوت الحموي: "كان شاعراً رقيق الحواس مليح النظم متمكن من القافية كثير التجنس فلا يخلو له بيت من تصنيع وإحسان وبديع... وكان نحوياً رأساً وإماماً في الفقه يقتدى به".

ولابن أسد من المؤلفات: كتاب ألغاز وديون شعر و(شرح للمع الكبير) و(الإفصاح في شرح أبيات مشككة الإعراب)، وقد عرف بكتاب المغالطات وطبع خطأ باسم (الرماني) (٥٠)، وتوجد له قصائد ومقطوعات شعرية كثيرة في المصادر ومن شعره:

يامن حكى ثغره الدرّ النظيم ومن خالّ أصداغه السود العناقيدا
إعطف على مستهائمٍ ضم من أسف على هواك وفي حبل العناقيدا

=الفتوة: في (مقدمة في الإقتصاد العربي، ص٧٨. ٩٢) للدكتور عبدالعزيز الدوري: أن كلمة (الفتى) مرادفة لكلمة (عيار) و(الشاطر). كان العيارون والشطار من العامة وبينهم أهل الصنائع والباعة، وكان هدفهم التجار الكبار لا الصغار. وكان لهؤلاء مبادئ أخلاقية كالمروءة والرفق بالضعفاء والفقراء وحماية النساء، وكانوا يسمون طريقتهم (الفتوة) ويعتزون بالشجاعة والكرم. وهم يرون أن الأغنياء والتجار جشعون سيطروا على المال والتجارة دون أداء حقهما وأن السلطة تحميهم. وبهذا المفهوم وجهوا حركاتهم، وكانوا يخرجون للقتال بتعبئة شبه عسكرية ولهم عرفاء ونقباء وقادة. ولهم كذلك في كل محلة (مقدم) أو (متقدم). وفي أواخر العهد السلجوقي سادت تنظيمات (الفتوة)، وكان (الناصر لدين الله) الذي أصبح فيما بعد خليفة قد دخل (الفتوة) وتدرج فيها حتى ترأسها. فوحدها وركز مقاييسها في الأخلاق والفروسية ووسعها إلى سورية ومصر لتقوية الخلافة العباسية وترسيخها.

أما حركة (الأحداث) في دمشق وحلب، فقد بدأت منذ أواسط القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى السادس (الثاني عشر الميلادي). وكانت الحركة شبه ميليشيا شعبية إتخذت موقفاً عدائياً من السلطة الخارجية ونجحت في فرض سيطرتها وتولية رئيس منهم على المدينة، كما حصل في دمشق التي تولاه آل الصوفي بين (٤٨٨ = ٥٤٨هـ)، وفي حلب (آل بديع)، وفي (أمد) الأسرة النيسانية في مطلع القرن السادس الهجري. وكانوا يستندون أحياناً أميراً ثائراً، أو يستندون الأمير المحلي، كما فعلوا مع المرادسيين في حلب. كان للأحداث تنظيمهم ولهم تنظيم من رؤساء وتقباء ومقدمين. وعندما يسيطرون على مدينة يوزعون سلطاتهم في المحلات على العيارين. وكانوا يفرضون ضريبة على الأسواق ويتولون حفظ الأمن. وكانوا على العموم يعبرون عن نظرة أهل المدينة تجاه السلطة الخارجية. وكان الغزاة الأجانب يضربون هذه الحركات الشعبية الاجتماعية، التي كانت تنشأ عند سوء الإستغلال والإضطرابات السياسية وما يرافق ذلك من فوضى.

وبخصوص بني نيسان في أمد، الذين أشار إليهم الأستاذ الدوري، نقول أنه في سنة (٤٨٨هـ) حدثت ثورة شعبية ضد الوالي السلجوقي (طغتكين) أخمدتها بقوة حيث صلب بعض الشوار على ما ذكره الفارقي في (ص٢٣٩)، ثم عين أميراً تركمانياً سلجوقياً على أمد باسم (إينال). وظلت الولاية في يد أولاد الأمير المذكور إلى أن أخذها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٩هـ). ولكن السيطرة كانت في يد وزراء (بني إينال) من (بني نيسان) وهم أبو علي حسن بن أحمد وكمال الدين علي وبهاء الدين مسعود (وقد تأخرت أمد في عهدهم كما سيأتي في موضوع سور دياربكر).

(٥٠) نشرت مجلة المجمع العلمي بدمشق، ج١، المجلد ٣٤ سنة ١٩٥٩ رسالة لعبدالعزیز الميمي أرسله من باكستان ذكر فيه أن خيرالدين الزركلي طبع كتاب (الإفصاح) هذا في المغرب باسم الرماني المتوفي سنة (٣٨٨هـ)، وبعد أن قام بتحقيق ظهر له أنه كتاب ابن أسد الفارقي بدليل أنه ينقل عن الرماني وبدليل أنه توجد له وباسمه عدة نسخ مخطوطة في عدد من المكتبات، وبهذا إرتكب الزركلي خطأ عظيماً حرم الفارقي المسكين من أنبل ما ألفه في حياته. هذا وتوجد في مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد نسخة مخطوطة من (الإفصاح) تحت الرقم ٢٩٨٦ ويتبين من مقدمتها أن ابن أسد قد ألفه لأحد المنتفذين من الأمراء المحبين لأهل العلم، ولعله أحد أمراء الأسرة الدوستكية أو أحد أمراء الدولة. وقد ورد إسم هذا الكتاب في (إيضاح المكنون، ج٢، ص٤٣، لإسماعيل باشا بابان (شرح أبيات المشككة الإعراب).

وله أيضاً:

ونديمة لي في الظلام وحيدة مثلي مجاهدة كمثل جهادي
فاللون لوني والدموع كأدمعي والقلب قلبي والسهاد سهادي
لا فرق بيننا لو لم يكن لهبي خفياً وهو منه باد (٥١)

لقد جمع الباحث والشاعر العراقي هلال ناجي (١١٩) قصيدة ومقطوعة شعرية لابن أسد ونشرها مع ترجمة جيدة له في سنة ١٩٧٨ بعنوان (الحسن بن أسد الفارقي)، وما ذكره من مؤلفاته (كتاب الحروف) و(الزبد في معرفة كل أحد) وقال أنه مات أعزياً (٥٢).

إبن الطريف الفارقي

هو أبو الرضا فضل بن منصور الطريف. كان من الشعراء المقيمين في خدمة نصر الدولة وقد وصفه كل من ابن الاثير وابن الوردي (٥٣) بالأمير الشاعر. فقد ذكر الأول بأن له ديوان شعر وشعره جيد. وذكره الفارقي بد القائد أبو الرضا بن الطريف، مما يدل على أنه كان شخصية بارزة. ولابن الطريف المقطوعة الشعرية التالية في وصف مدينة بديليس:

بديليس قد جددت لي صبوة بعد التقي والنسك والسمت
هتكت ستري في هوى شادن وما تحرجت ولا خفت

(٥١) المقطوعتان من معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج ٣، من ص ٤٧-٥٤ حيث ترجمة حياة ابن الأسد. لقد وقع بعض المؤرخين في أخطاء بصدد حياة ابن الأسد وكيفية قتله، فزعم بعضهم أنه قتل من قبل ابن مروان، أي الأمير منصور وقلب الأحداث على عقب، والصحيح هو ما قاله الفارقي وهم أعلمهم بما آل إليه أمره. فقد ذكر الفارقي بأن ابن الأسد ذهب الى حران وكان فيها تتش فآلف فيها قصيدة رنانة في مدحه (طمعاً في العفو عنه) ومن جملتها البيت التالي:

واستحلبت حلب جفني فإنهملت وبشرتني بحر القتل حراً

وقيل بحر الشوق. ولما فرغ من إلقاء قصيدته أبدى تتش إعجاباً به، فعرفه به خواصه وذكروا له كيف إستولى على فارقين وسلمها الى ناصر الدولة منصور فأمر تتش بقتله. أما ذهابه الى تتش فلما أنه خاف من أنه سيقبض عليه ويقتل ولن ينجو من تتش وسيكون مصيره كمصير الوزير أبي طاهر الأتباري الذي غادر فارقين الى خربوت ليبعد عن ظلم السلاجقة.

لقد إعتدنا بصدد هذه النبذة من حياة ابن أسد على المصادر التي أشرنا إليها الى جانب المصادر التالية: الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٢٢٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٨٠. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات النحاة، ص ٢١٨. الزركلي، الأعلام، ج ٢، ١٩٨.

(٥٢) كان صديقي الأستاذ هلال محامياً ورئيساً لإتحاد الأدباء والكتاب العراقيين لعدة سنوات، وكان له حوالي خمسين مؤلفاً. لجأ الى مصر في عهد عبدالكريم قاسم، ثم عاد الى العراق. ولم يحيد سياسة البعث، فخرج الى مصر مرة أخرى. كان قومياً يتحلى بالأنفكار الديمقراطية وقد أيد منذ الستينات حق الشعب الكردي في إنشاء دولته وفي ديوانه قصيدة بعنوان (أخي الكردي) تؤيد ذلك بصراحة.

(٥٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ١٦. عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ص ٣٤٣. وقد أورد له ابن الاثير المقطوعة الشعرية التالية:

ومخطف الخصر مطبوع على صلف عشقته ودواعي البين تعشقه
وكيف أطمع منه في مواصله وكل يوم لنا شمل يفرقه=

وكنت مطوياً على عفة مظنونة يمشي بها وقتتي
 وإن تحاسبنا فقولنا لنا من أنت يا بدليس من أنت
 وأين ذا الشخص النفيس الذي يزيد في الوصف على النعت
 من طبعك الجافي ومن أهله قد صرت بغداد على بخت
 وقد توفي ابن الطريف سنة (٤٣٠هـ = ١٠٣٩م) أو التي بعدها (٥٤).

إبن الفطيري

كان أحد شعراء نصرالدولة وكان كاتباً للقاضي أبي الرجي في فارقين (٥٥). وقد أورد له
 الباخرزي (٥٦) المقطوعة الشعرية التالية:

وبهجتني يا عاذلي مقرطوق جمع النحول بأسره في خصره
 أسروه من أرض العدو فأصبحت نفسي أسيرة ناظريه وثغره
 وحياته لولا ملاحه خده ما ذل إيماني لعزة كفره

ولم يصلنا شيء آخر من شعره، ويحتمل أن له قصيدة أو قصائد عديدة في مدح نصرالدولة وفي
 مناسبات عديدة، شأنه في ذلك شأن ابن الطريف وابن السوداوي وغيرهما، ولكنها لاتزال في عداد
 المفقودة.

=وقد تسامح قلبي في مواصلة
 أهابه وهو طلق الوجه مبتسم
 وأورد له هذه المقطوعة أيضاً ابن الجوزي في، المنتظم، ج٨، ص١٣٩. كما أورد له قصيدة مطلعها:
 يا قالة الشعر قد نصحت لكم
 ولست أدهى من النصح
 ينصحهم فيها بعدم مدح من لا يستحقه وجعل الشعر تافهاً والنزول الى حضيض من الدناءة. كما ذكر ابن الصابوني
 المقطوعة الرقيقة التالية في (تكملة إكمال، ص٣١٠) نقلاً عن ابن الدبيشي:
 تبارك من كسا خديك نوراً
 ومن أعطى محاسنك الكمالا
 أغار إذا شربت الكأس شحاً
 على تلك المرافف أن تنالا
 ولكن أدنها من فيك حتى
 ترى للشمس بالقمر إتصالاً

(٥٤) وقع خلاف بصدده وفاته، ففي الوقت الذي يرى ابن الجوزي أنه توفي سنة (٤٣٠هـ) يرى ابن الاثير ومن تبعه انه
 توفي في السنة التي بعدها. راجع بصدده أيضاً الفارقي، ص١٤٤. وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢١٥. وقد
 ورد في هذين المصدرين (ابن الطريف) بالطاء المهملة، وفي المصدرين الأولين ابن (الظريف) بالضاء المعجمة.
 وإعتمدنا على هذين المصدرين في الجزء الأول والطبعة الأولى من هذا الجزء الثاني، والان نعتد على الفارقي وابن
 خلكان، سيما وأن الفارقي أقرب اليه زماناً ومكاناً.

(٥٥) الفارقي، ص١٦١-١٦٢. ورد اسمه في ص١٤٤ ابن الفضيبي وهو خطأ.

(٥٦) ابو الحسن علي بن حسن الباخرزي، دمية القصر وعصرة اهل العصر، ج١، ص٢١٠-٢١١. انشد المقطوعة في
 غلام رومي، وصفه أيضاً الباخرزي بشاعر نصرالدولة.

سداد بن إبراهيم الجزري

كان (الظاهر أبو النجيب) سداد شاعراً رقيق الشعر لطيف الأسلوب، وكان من سكان جزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر). مدح بشعره الملك البويهبي عضدالدولة والوزير المهلبلي. توفي سنة (٤٠١ هـ ١٠١١م) وأورد كل من ياقوت والكتبي (٥٧) ومن شعره في الحكم:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تديبه سيضحك يوماً ويبكي سنة

وفي (التراث العربي، ج٢، ص٣٧٧) للعلامة الدكتور مصطفى جواد أن اسمه (سدّاد) بالسين المهملة، على ما في الكتبي والصفدي ولقبه (الظاهر) بالطاء المعجمة، وقد تصحف اسمه ولقبه عند المؤرخين. فقد ذكره بـ(شداد) بالشين المعجمة و(الظاهر) بالطاء المهملة وأضاف أن البيتين (الأولين) له وليس لأبي العلاء المعري. وقد كتبهما ابن القارح في رسالته إلى المعري ونسبهما إليه. عمّر (سدّاد) كثيراً وأدرك سيف الدولة الحمداني.

حسن بن محمد الأمدي

هو أبو علي حسن بن محمد بن أحمد من سكان مدينة دياربكر (آمد). تربي وأخذ العلوم في كردستان أيام الدولة الدوستكية، ثم إنتقل إلى العراق وإلتقى به السمعاني ببغداد حوالي سنة (٥٣٤ هـ = ١١٤٠م) وكان في التسعين من عمره، وقال: انه فاضل غزير الادب والفضل قيم بصنعة الشعر عارف باللغة. وعرض على السمعاني بعض قصائده.

ترى الأمدي يبدي الحنين في قصائده نحو وطنه ويرسل الشوق إلى ربوعه الجميلة، التي قضى فيها أيام صباه وباقية من أيام شبابه. ونحن نلمس حنينه وأشواقه من الأبيات التالية، وهي من قصيدة له بديعة يفضل فيها آمد على بغداد بالعراق وعلى جبرون بالشام، يقول فيها:

(دياربكر) كان لي زمناً بها أبارك لهو يستفيض وعون
لا غرو أن رزقت هواك على الصبا تلك المعامل والقباب الجون
ياحبذا تلك القلاع وحبذا تلك البقاع وحبذا ليسون
هل أنت يا بغداد أحسن منظرًا أم (آمد) السوداء أم جبرون (٥٨)

وهو يحيي مدينة آمد في واحدة أخرى من قصائده (٥٩) ويقول:

(٥٧) ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ج١١، ص٢٧٠ وما بعدها. محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٤٠. راجع أيضاً محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ج١، ص٢٥٠. وقد ذكره ياقوت الحموي ومحمد أمين زكي بإسم (شداد) بالشين المعجمة وهو خطأ.

(٥٨) عماد الدين الاصبهاني، خريدة القصر، ج٢، ص٤٦١. تسمى مدينة (دياربكر) الكردية بآمد السوداء لسواد سورها العظيم، لكونه من حجر البازلت البركاني التي قذف بها بركان جبل (قهرهزداغ- قهرهجوغ) الكبير الواقع جنوب غرب دياربكر.

(٥٩) ذكرها الاصبهاني في الخريدة، ج٢، ص٤٦١.

متى تحيا بلاد بالشام أقل حُييت يا (أمد) السوداء من بلد

أبو الفرج الزهرجي

كان أبو الفرج أحد الأدباء الفضلاء وكاتباً لنصرالدولة، ورد ذكره في رسالة ابن القارح وفي رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. كان الزهرجي السبب في تأليف كل منهما رسالته المشهورة، وبهذا أصبح كل منهما مديناً له. وكيفية ذلك أن ابن القارح إجتمع في مدينة دياربكر بأبي الفرج وتداولوا في الأمور الأدبية، وناقشه الزهرجي وابنه كما أطلعه الزهرجي على خزائنه كتيبه. ثم أنشأ الزهرجي رسالة أدبية في تقريظ ومدح ابن القارح ورسالة ثانية لأبي العلاء المعري سلمها إلى ابن القارح ليسلمه إليه، ولكن الرسالة الأخيرة سرقها من ابن القارح رجل رافقه وهو متوجه من دياربكر إلى حلب، حيث سرقها من جملة ما سرقه منه من الأشياء. فكتب ابن القارح رسالته إلى أبي العلاء يعتذر منه فيما آلت إليه رسالة أبي الفرج وتطرق إلى أمور أخرى (٦٠)، ووعد أبا العلاء في خاتمة رسالته أنه سيرسل إليه بعد وصول جوابه رسالة الزهرجي التي أنشأها في تقريظه ومدحه (أي مدح ابن القارح)، وذكر أن رسالته كانت من أكبر الأسباب لدخوله حلب.

أما أبو العلاء الذي ألف رسالة الغفران رداً على رسالة ابن القارح وأودعها فنون البلاغة، حتى إن الأدب العربي يعطيها مكانة سامية، وأبدى فيها أسفه على عدم وصول رسالة الزهرجي إليه، ودعا على ذلك السارق الذي وصفه بأنه: ارتكب أمراً شنيعاً وقطع من قلائد الأدب قلادة ثمينية، قاصداً بالقلادة رسالة الزهرجي (٦١).

رغم أن شيئاً من إنتاج أبي الفرج الزهرجي لم يصلنا، ولكن يفهم من فحوى رسالتي ابن القارح وأبي العلاء أنه كان من الأدباء الأفاضل ومن الكتاب البارعين، حتى عبّر أبو العلاء عن رسالته المسروقة بالقلادة الثمينية من قلائد الأدب العربي. ومن هذا يُفهم أنه كانت لأبي العلاء معرفة تامة بالزهرجي وقابليته الأدبية سواء عن طريق المراسلة أو عن طريق اللقاء. كما أن إختيار نصرالدولة إياه

(٦٠) قال ابن القارح في صدر رسالته (المطبوعة مع رسالة الغفران، ص ٢٢): "كان أبو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصرالدولة أدام الله حراسته كتب رسالة إلى أعطانيها ورسالة إليه (أي إلى أبي العلاء) أدام الله تأييده إستودعنيها وسألني إيصالها إلى جليل حضرته وأكون نافثها لا باعثها ومعجلها لا مؤجلها، فسرق عديلي رحلاً لي الرسالة فيه فكتبت هذه الرسالة أشكو أموري وأبث شقوتي وأطلعه على عجري وبجري. لقيت أبا الفرج الزهرجي ومعه خزائنه كتيبه..."

ومن المجدد بالذکر أن لقاء ابن القارح بالزهرجي كان بعد وفاة أبي القاسم المغربي وزير نصرالدولة سنة ٤١٨هـ = ١٠٢٦م) بحوالي ست سنوات، لأن أبا العلاء ألف رسالة الغفران رداً على رسالته بست سنوات علماً أن ابن القارح قد ذهب إلى فارقين سنة (٤١٧هـ) من مدينة ملطية بناً على طلب الوزير المغربي، وكان بينهما معرفة قديمة حيث أنه كان معلم أخويه بمصر. كما ذكر في رسالته فلا ندري هل انه ظل في كُردستان إلى هذا الوقت، أي حوالي سبع سنين، أو انه غادرها ثم قدم إليها مرة ثانية، و إلتقى بالزهرجي. وفي رأبي أن الإحتمال الاول هو الاقرب. وتجدر الإشارة إلى إحتمال كون الزهرجي يهودياً لأن ابن القارح قال له لما اطلعه على مكتبته: إن كتبك كلها يهودية.

(٦١) المعري، رسالة الغفران، ص ٣٩٦. راجع نص كلامه بصدد أبي الفرج ودعائه على السارق وتأسفه على الرسالة المسروقة.

كاتباً له يدل على أنه كان من خيرة الكتاب. ولا ندري هل إنه هو أبو الفرج الخازن الذي ذكره ابن الجوزي أم أنه شخص آخر؟ (٦٢)

وأخيراً نرى في ضوء ما تقدم، أن لرسالة الغفران ذات الشهرة العالمية إرتباطاً وثيقاً بتاريخ الدولة الدوستكية، فلولا الزهرجي لما كانت رسالة الغفران ولولاه ولولا أبو القاسم المغربي وزير نصرالدولة، لما كان هذا العمل الكوميدي العظيم من أبي العلاء أعظم أديباء عصره (٦٣).

علماء مسيحيون

لا فرق عندي وأنا أكتب تاريخ العلم في هذا الجزء كُردستان في عهد الدولة الدوستكية بين عالم كُردي وآخر غير كُردي وبين عالم مسلم وآخر غير مسلم. لأن لكل عالم عاش في هذا الجزء من البلاد الكُردية إرتباطاً عضواً بالموضوع، ولكن بسبب عدم توفر المصادر المسيحية لدينا، ولا سيما المتعلقة بهذه الفترة، وقلة إهتمام المصادر الإسلامية بالتاريخ المسيحي ليست لدينا معلومات كثيرة بصدد العلماء المسيحيين في الدولة الدوستكية:

إيليا برشنايا النسطوري مطران نصيبين (٦٤)

كان إيليا من كبار العلماء المسيحيين ومن المؤلفين المعروفين في عصره. ولد سنة (٣٦٤هـ = ٩٧٤م) في مدينة (السن - قرديلاباد) غربي دجلة قبالة مصب الزاب الصغير في دجلة. أصبح أسقفاً لباهذرا في عام (٣٩٢م) ثم مطراناً لنصيبين عام (٣٩٩هـ = ١٠٠٩م). كان متضلعا في علوم عديدة تشهد على ذلك مؤلفاته ومناظراته العلمية مع الوزير أبي القاسم المغربي، التي حدثت بينهما بمدينة نصيبين في سبعة أيام. وقد دون إيليا كل ما دار في تلك المناظرات في كتاب عرف باسم (مجالس إيليا) وب(الرسائل الجدلية) أيضاً، وكان ذلك في سنة ٤١٧هـ = ١٠٢٦م). كان إيليا شخصية محترمة في الدولة، وخاصة أنه كان أبا الطيب زاهد العلماء منصور بن عيسى طبيب نصرالدولة ورئيس مستشفى فارقين. كان له أكثر من عشرين مؤلفاً، منها (كتاب الأزمنة) وهو يتكون من جزئين الأول في التاريخ، والثاني في الحساب والتقويم. والقسم السرياني من الكتاب مؤلف بالسريانية

(٦٢) ذكر ابن الجوزي في (المنتظم، حوادث سنة ٤٥٥هـ): ان أبا الفرج الخازن سقى الأمير سعيد بن نصرالدولة السم فمات بديار بكر، فاقترض نظام الدين من ابي الفرج وقتله. علماً أنه ورد خطان في كلامه بصدد وفاة الأمير سعيد ويصدد كون نظام الدين هو نصر بن سعيد، ولعل الخط الأخير حدث من قبل النسخ. ومضى في الجزء الأول من الدولة الدوستكية، ص ٢٧٨ من أن سعيداً مات مسموماً من قبل جارية نقلت عن الفارقي.

(٦٣) تاتي علاقة الوزير المغربي بالموضوع من حيث انه السبب الثاني في إرسال ابن القارح رسالته الى المعري، اذ بلغه ان المعري متذمر منه لما بلغه ان ابن القارح يذم المغربي بعد وفاته، وكانت بينهما صداقة متينة حتى إن المعري كان يتعصب للمغربي، فأراد برسالته أن يوضح له أخلاق صديقه المغربي.

(٦٤) يعرف أيضاً بإيليا ابن السن، والأخير تعريب (برشنايا). وإسم أبيه عيسى ومعنى برشنايا ابن السن أي بلدة السن التي ولد فيها.

والعربية، وفي مكتبتني نسخة مصورة منه على مخطوطة هذا الكتاب الكبير الموجودة في المكتبة البريطانية بلندن (BRITISH LIBRARY) تحت الرقم (٧١٩٧). وقد نشر كل من كابوت وبروكس دراسة حول تاريخه هذا في باريس سنة ١٩٠٩-١٩١٠. وقام الدكتور يوسف حبي بتعريبه وطبعه مجمع اللغة السريانية ببغداد سنة ١٩٧٥ بعنوان (تاريخ إيليا برشنايا). وله كتاب آخر في الموازين والمقاييس، كتب (سوفيرا) دراسة حول هذا الكتاب ونشرها سنة (١٨٧٧) وترجمها الى الفرنسية، وتوجد نسخة كاملة منه في جوتا، كما كتب (فيدمان) تحليلاً له سنة (١٩١٦). وإيليا مؤلفات أخرى بالسريانية والعربية (٦٥).

يوحنا ابن شوشان:

ولد في ملاطيه وإسمه يوشع الكاتب من أساتذته البطريرك يوحنا التاسع. برع ابن شوشان في العلوم اللغوية والدينية وفي الفلسفة. كان بليغاً وخطاطاً أصبح بطربركاً لليعاقبة (السريان الغربيين) في مدينة دياربكر (آمد)، التي نقل اليها مقر الكنيسة اليعقوبية من انطاكية في أواخر عهد الأمير نصرالدولة. وفي سنة (١٠٥٨م) بالذات سمي (يوحنا)، ثم اعتزل ثم أعيد الى منصبه الديني الأعلى سنة (١٠٦٣م)، وكان حسن السيرة والإدارة وعين سبعة عشر مطراناً وأسقفاً.

لإبن شوشان مؤلفات عديدة منها مقالة نقض فيها مذهب الملكيين، ورسالة علمية مجمعية الى بطريك الأقباط، ورسالة جدلية الى جاثليق (بطريك) الأرمن. وله أربعة قصائد في نكبة ملاطية

(٦٥) من مؤلفاته أيضاً القاموس السرياني العربي، وكتاب البرهان الصحيح في تصحيح الإيمان، والمعونة على دفع التهم، وتوجد منه نسخة مخطوطة بالسريانية بإسم (المعرفة عند دفع التهم) في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد تحت الرقم (٣٤٣)، وفضيلة العفة، والحكم النافعة طبع في القاهرة من قبل أحد المستشرقين وهو (بولوسبات) سنة ١٩٣٦، ورسالة في حدوث العالم، ورسالة في الصلاة، ورسالة في الموارث، ورسالة في وحدانية الخالق، ومقدمات على الأناجيل، وخمسة شكوك وأجوبتها، وفرائد الفوائد، ورسالة رد بها على رسالة لوزير نصرالدولة ابي القاسم المغربي وهي غير مجالس إيليا، وحل بعض المسائل الإنجيلية. وله مؤلفات أخرى بالسريانية بحيث أن مجموع مؤلفاته المعلومة لدينا (٢٤) مؤلفاً وأثراً علمياً. وقد ذكر البطريرك أفرام برصوم في كتابه القيم (اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ص١٢٦): "ان لإيليا كتاب الترجمان وكانت توجد نسخة منه بخط عبديشوع أسقف (مدينته) الجزيرة سنة ١٥٤٧ في خزانة أفرام برصوم أو خزانة البطريركية اليعقوبية". ولا ندري هل انه قاموسه السرياني أو كتاب غيره.

توفي إيليا يوم الجمعة المصادف العاشر من محرم (٥٤٣٨هـ = ١٠٤٦م) ودفن جثمانه بجانب قبر أخيه رئيس الأطباء أبي سعيد منصور بن عيسى. من مطارنة الدولة إيشوعياب مطران نصيبين المتوفي سنة (٣٨٣هـ = ٩٩٣م) ومنهم يهبهالا الذي أسيم مطراناً لنصيبين إثر وفاة المطران إيشوعياب، وكان قبل ذلك أسقفاً لأبرشية نوهرا، التي تشمل منطقة دهوك وزاخو. توفي يهبهالا سنة (٣٩٨هـ = ١٠٠٨م) وأصبح بعده إيليا مطراناً لنصيبين. ذكرهما إيليا في تاريخه (ص ٢٠٠-٢٠٣) وذكر أيضاً (مارگريل) أسقف (أرزن) الذي أسيم مطراناً لأربيل وأثور (أي منطقة الموصل) وذلك سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٣م). لقد ذكر أيضاً في (ص ٢٠٥) أبا الحسن بن يسرايل الكاتب النصراني الذي قتل من قبل سكان نصيبين سنة (٤٠٨هـ = ١٠١٨م) في يوم الأحد السابع عشر من جمادى الآخرة. ولم يذكر ابن شوشان سبب قتله، ولكنه قال أن الأمير أبا الفضل حسام الدولة (يقصد بدران بن المقلد العقيلي المتوفي سنة ٤٢٥هـ) غضب على سكان نصيبين وقتلهم وقتل منهم أناساً كثيرين وصادر جماعة منهم وبدأ بعمارة قلعة نصيبين في نفس السنة، فمن المحتمل أن أبا الحسن بن يسرايل كان كاتباً لأبي الفضل أو أحد موظفيه المعتمدين.

على أيدي الأتراك السلاجقة، أي بصدد الجرائم التي إرتكبوها في هذه المدينة وذلك في سنة (١٠٥٨م)، وتوفي سنة (١٠٧٢م) في السادس من تشرين الثاني (٦٦).

علماء مسيحيون آخرون

من العلماء المسيحيين أيضاً عبديشوع، الذي كان أسقفاً لثمانين (ههشتيان) وتوابعها من منطقة جبل الجودي، وذلك في سنة (٤٦٧هـ = ١٠٧٥م). وإيشوعيب أسقف الجزيرة في السنة المذكورة أيضاً (٦٧). ويوحنا أسقف الجزيرة في أوائل القرن الربع الهجري (العاشر الميلادي)، وجبريل الشماس الذي كان أسقفاً لغرزان (أرزن) وتوابعها، والذي عُيّن مطراناً للموصل سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٣م) (٦٨).

وفي أواخر العهد الدوستكي عين عبديشوع الجاثليق مطراناً في نصيبين وإستدعي الى بغداد في مهمة دينية، ولكنه تأخر سنتين لأنه كان في مدينة فارقين التي كانت تلك المدة محاصرة بالقوات السلجوقية، وكان عبديشوع معروفاً بإبن العارض (٦٩). من العلماء المسيحيين أيضاً (مار برصوما)، الذي كان من قرية الزيدية بنصيبين ودرس على المطران إيليا، ثم سافر الى مدينة دياربكر وأقام خمس سنوات في بيت النخوار بدياربكر، ثم عُيّن أسقفاً لمرعيشية ثمانين (ههشتيان) في أول جثلقة مار إيليا (٧٠).

وكانت أسرة النخوار أسرة مسيحية متمكنة حتى زمن الفارقي، أي النصف الأخير من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي)، ونشأ منها إبن الخمار الذي عينه نصرالدولة كاتباً لابنه الأمير محمد في دياربكر سنة (٤١٥هـ = ١٠٢٤م).

الطب

بجانب إهتمام الدولة الدوستكية بالحياة الإقتصادية والعمرانية، فقد إهتمت بالعلوم ومن جملتها الطب وذلك لحاجة البلاد اليه، فأكرمت الأطباء وعززت مكانتهم وشجعتهم على ممارسة مهنتهم سواء بمداوة المرضى، أو بتركيب الأدوية وتحضيرها أو بتأليف الكتب القيّمة فيه وتزويد مستشفى فارقين

(٦٦) أفرام برصوم، اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ص ٣٦٧. واتخذ البطريرك يعقوب الثالث سنة ١٠٧٢م بداية لعهد البطريركية ابن شوشان والصحيح انها نهايته ولعل الخطأ مطبعي. راجع كتابه (الحقائق الجليلة، ص ٧٢). بصدد جرائم السلاجقة في ملاطيه. راجع (تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٢٣) مطبوع على الآلة الكاتبة بجمع اللغة السريانية ببغداد، ترجمة الأب پير أبونا، وفيه أن السلاجقة قتلوا عشرة آلاف شخص من ملاطية.

(٦٧) فطاركة كرتي المشرق، ص ١٣٠.

(٦٨) نفس المصدر، ص ١١٣.

(٦٩) نفس المصدر، ص ١٢٧.

(٧٠) نفس المصدر، ص ١٥٣.

ومدرستها الطبية بتلك المؤلفات.

لقد دفع تشجيع الدولة للأطباء وتقديرها لهم الى توجه عدد منهم الى كُردستان والإقامة فيها. فشيدت الدولة في عهد نصرالدولة مستشفى (بیمارستان) كبيراً في عاصمتها على أحدث طراز المستشفيات في عصرها. وزودته بكافة أدوات الطب ووسائله، كما زودته بالأدوية والعقاقير المعروفة آنذاك، ووقفت على هذا المستشفى الأملاك والعقارات الكافية بسد نفقاته والكفيلة بالحفاظ على بقائه فترة من الزمن. فكانت للمستشفى بهذه الصورة ماليته الخاصة.

من المحتمل جداً أن مستشفى فاروقين كان مقسماً الى أجنحة مختلفة للباطنية والعيون والكسور وغيرها، كالمستشفى العضدي في بغداد، الذي شيده الملك البويهبي عضدالدولة وعين فيه (٢٤) طبيباً وكان أكبر مستشفيات عصره. ويحتمل أن الدولة الدوستكية، بحكم توسطها بين البلاد الإسلامية والبلاد البيزنطية المسيحية إستفادت من الجانبين في مجال الطب والمجالات الأخرى.

تأسيس مستشفى فاروقين

ذكر الفاروق في (ص١٢٣) ان نصرالدولة بنى بیمارستان أي المستشفى سنة (٤١٤هـ) في العاصمة فاروقين، ولم يزد على هذا المقدار القليل الذي لا يستهان به في قيمته التاريخية. لكن الطبيب والمؤرخ المحقق -ابن ابي اصيبعة- قد خلد لنا معلومات قيمة بخصوص تأسيسه من قبل الأمير نصرالدولة إثر شفاء إحدى بنات الملك الدوستكي من مرض شديد، وذلك على يد الطبيب الماهر زاهد العلماء، وذكر ذلك في قصة طريفة. وإليك ما قاله هذا المؤرخ على ما تحدث له الطبيب سديد الحاني الذي ذكرناه في موضوع الصناعات الميكانيكية: "وحدثني الشيخ سديدالدين بن رقيقة الطبيب سبب بناء بیمارستان ميفاروقين هو ان نصرالدولة بن مروان لما مرضت ابنة له وكان يرى لها كثيراً فألى على نفسه انها متى برئت ان يتصدق بوزنها دراهم، فلما عالجها زاهد العلماء وصلحت اشار على نصرالدولة ان يجعل جملة هذه الدراهم التي يتصدق بها تكون في بناء بیمارستان ينتفع الناس به ويكون له بذلك أجر عظيم وسمعة حسنة. قال فأمره ببناء بیمارستان وانفق عليه أموالاً كثيرة ووقف له أملاكاً تقوم بكفايته وجعل فيها من الآلات وجميع ما يحتاج اليه شيئاً كثيراً فجاء لا مزيد عليه في الجودة" (٧١).

(٧١) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ج٢، ص٢٥٨. اشير بهذه المناسبة الى المخطوطة (قصة ابنة ملك فاروقين) كي يكون الباحث على علم بمحتوى هذه القصة ولا يظن انها قصة ابنة نصرالدولة، قصة مرضها الذي أصبح سبباً لبناء مستشفى فاروقين. وجدت في كتاب رسائل أحمد تيمور الى الكرمل، جمع ونشر الأستاذ غورگيس عواد، ان العالم الكردي الاصل احمد ابن اسماعيل باشا يخبر الاب انستاس الكرمل في احدى رسائله ان لديه مجموعة مخطوطة تضم (٣٧) قصة من بينها قصة ابن ملك ميفاروقين، فظننت انها قصة ابنة نصرالدولة، وعلمت ان ذلك الكتاب او المجموعة هي الآن في مكتبة تيمور بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم (١٥). فأرسلت كتاباً الى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد الشنيطي مدير دار الكتب ملتصقاً منه أن يزودني بنسخة مصورة. فزودني بها مشكوراً وهي تقع في (١١) صفحة. ولما أطلعت عليها ظهر لي ان هذه القصة مروية عن اسحق النديم حكاهها=

لاشك أن مستشفى فارقين هذا كان يتمتع بأهمية تاريخية وحضارية كبيرة. أما الذي أشرف على بناء المستشفى فحسب قول ابن ابي اصيبعة انه كان زاهد العلماء (أبا سعيد). أما الفارقي فعبارة غير واضحة. إذ عندما قال ان نصرالدولة بنى البيمارستان وجدد الجامع أردف ذلك بقوله: "وتولى عمارته أبو السعيد الكبير الكاتب ابن بختيشوع الخازن". فلا ندري الى أي منهما يعود ضمير الغائب في عبارته. وأخذنا بـ(القريب أولى من البعيد) فذكرنا سابقاً أنه تولى تجديد الجامع. وان كان القصد بالمرجوع اليه (البيمارستان)، فإنه إلتبس بين (أبي سعيد زاهد العلماء) و(أبي السعيد بن بختيشوع)، ولذلك نرجح قول ابن ابي اصيبعة. ولكن يمكن الجمع بين الإثنين وذلك بأن جعل زاهد العلماء بانياً وابن بختيشوع مشرفاً على البناء، خاصة إن كان ابن بختيشوع هذا الطبيب أبا سعيد عبيدالله ابن بختيشوع. ومعروف بأن اشراف طبيب على بناء المستشفى مراعاةً للجوانب الصحية في البناء أولى من إشراف غير الطبيب. هذا ويحتمل جداً أن الدولة الدوستكية أسست مستشفيات أخرى

=لهرون الرشيد وبظلة القصة هي (شمس النهار) بنت ملك ميفارقين. أما بطلها فأحمد بن علي الجوهري، الذي كان حسيماً في القصة ابن احد تجار بغداد البارزين واحد النابغين سمع ان الملك قرر ان يزوج ابنته الشهيرة بجمالها وعلمها ودكائها لكل من يجيب على أسئلتها العلمية في محفل يحضره هو وكبار رجال دولته والقضاة والعلماء... ومن عجز عن حلها قتله. فبأني بطل القصة الى فارقين ويجيب في إجتماع كبير على أسئلتها، ثم يزوجه إياها الملك ويجعله ولي عهده كما هو مفصل في القصة.

أخبرني الأستاذ الدكتور شاكور مصطفى الأستاذ بجامعة الكويت في رسائله أنه توجد عدة قصص في أواخر النسخة المصورة من النسخة المخطوطة من تاريخ الفارقي التي يمتلكها. فطلبت منه تزويدي بها إن كان لها علاقة بالدولة الدوستكية او المجتمع الكردي، ولكنه أخبرني بعدم علاقتها بهما. وكان في نيتي ان افرد موضوعاً للجانب الفولكلوري من التاريخ الدوستكي. إذ أن بعض القصص الكردية الحية في كردستان الآن، يعود تاريخها الى عهد الدولة الدوستكية، مثل قصة زواج الأمير أحمد بن نظام الدين في الأسر وإعطائه علامة لزواجه البيزنطية او الفرنجية عندما رجع الى كردستان، كي تعطيهما لولده الطفل اذا كبر ليعود الى كردستان ويبحث عن والده. ولما كبر ابنه وكان قد سماه محمداً، اخذ العلامة واقبل من البلاد الافرنجية (الأوروبية) الى كردستان ليبحث عن والده. فوجده أميراً في قلعة هتاخ، وزوجه ابوه ورزق ولدين هما الامير ابراهيم والامير حسن، وقد رأهما المؤرخ الفارقي الذي روى في (ص ٢٥٣) هذه القصة الطريفة، التي نجد ما يشابهها في الأفلام السينمائية. وأصبحت قصة الأمير احمد هذه معروفة في كردستان يتناقلونها جيلاً بعد جيل. راجع الجزء الأول، ص ٣٤٥-٣٤٦. هذا علماً بأن الامير احمد الذي وصفه الفارقي بالفروسية وصاحب المقامات البطولية الشهيرة أسر في قلعة انطاكية في الحروب الصليبية، وذلك في ٢٨ حزيران ١٠٩٨ م، إثر فشل الحملة القوية التي قادها كربوقا السلجوقي على القوات الصليبية في أنطاكية. وكان الأمير احمد قائداً لقوات القلعة المطلة عليها. ويرى ستيفن رنسيمن، ان الامير احمد كان على إتصال سابق بالقائد الصليبي بوهمند، فاستسلم له واعتنق الديانة المسيحية. راجع كتابه، الحروب الصليبية، ج ١، ص ٣٥٤. وإن كان هذا صحيحاً، فإن هدف إنضمامه الى القوات الصليبية ربما كان لإحياء دولته إذا تمكنوا من إحتلال كردستان الوسطى، علماً بأن نفوذهم وصل الى حدودها.

أما قصة (زهبيل فرّوش) الشهيرة في كردستان، فهي الأخرى تعود الى عهد الدولة الدوستكية. ويتضح من القصة المطبوعة أن زهبيل فرّوش هو الأمير سعيد بن الأمير حسن (والصحيح بن نصرالدولة). وقد ذكر بسري كونياري في ج ٢، ص ٣٠٨ و ٣١٩ ان القصة حدثت في فارقين على ما هو مشهور بين سكانها. وقد أشرت الى هذا بموجز في الجزء الأول، ص ٣٦٦، ولكني كتبت تحقيقاً مفصلاً بهذا الخصوص ترجمه الى اللغة الكردية السيد أحمد تاقانه أحد الأدباء الكرّدي ونشره في جريدة (هاوكاري) العدد (١٨٨). وفي أب صورت قلعة زهبيل فرّوش في فارقين حسبما يسميها السكان، وهي الجدار الشمالي من (برج الملك) الذي كان فيه قصر نصرالدولة.

في بلادها، لاسيما في المدن المهمة، ولكن لم يصل إلينا أي نص تاريخي بهذا الصدد. إذا ألقينا نظرة على مستشفى فارقين، نجد أنه قد بقي عامراً رغم عواصف الزمن الى عهد مؤرخنا أحمد بن يوسف الفارقي. اذ وجد الأمير ابا سعيد بن الأمير حسن بن نصرالدولة راقداً فيه لمعالجة عينه، حيث أصيبت بالعمى (٧٢).

يحتمل أن المستشفى ظل عامراً الى زمن ابن ابي اصيبعة المتوفي سنة (٦٦٨هـ = ١٢٧١م)، أي حوالي ثلاثمائة سنة من تاريخ بنائه، لأنه حينما يتحدث عن هذا المستشفى لا يذكر انه اتى عليه الخراب، رغم قوله أنه زار مدينة فارقين. من أسباب بقاء المستشفى عامراً بعد زوال الدولة الدوستكية بمدة طويلة، فيعود الى أوقافه التي أوقفها عليه نصرالدولة. لأن واردات أوقاف المستشفى تكفلت بسد نفقاتها والمحافظة عليها لصفها على الترميمات وشراء الأدوية والآلات والأجهزة الطبية وطعام المرضى. كما يعتقد ان رواتب الأطباء والمستخدمين كانت تدفع من واردات أوقافه وهي مالية المستشفى الخاصة. ولما كانت ولا تزال أملاك الوقف لدى المسلمين يحرم إغتصابها وبيعها وصرف وارداتها في غير وجهها الشرعي فإنها تبقى قروناً عديدة، فيبقى بواسطتها الموقوفة عليه من المساجد والجسور والمستشفيات وغيرها. لأن تلك المنشآت كانت تُعمر بواردات تلك الأوقاف عند الحاجة. ولهذا السبب إتخذ نصرالدولة المحب للإعمار والبناء كثيراً من القرى والعقارات وقفاً على المساجد والجسور والأسوار والمدن وغيرها، حرصاً منه على بقائها زمناً طويلاً آثاراً خالدة من حضارة تلك الدولة الكرديّة.

مدرسة الطب

كانت مستشفى فارقين تشتمل على جناح خاص لتدريس علم الطب مما نستطيع تسميته بـ(مدرسة الطب)، وإعتبارها لذلك أقدم مدرسة طبية في كُردستان. وقد سماها ابن ابي اصيبعة بـ(مجلس العلم). وكان الطب يدرّس في المستشفيات، كما ان علوم الفقه والحديث والتفسير والعلوم العربية وغيرها كانت تُدرّس حتى ذلك الحين في المساجد والجوامع والرُبط. إذ لم تكن في البلاد الإسلامية مدارس مستقلة ومنفصلة عن الجوامع والمستشفيات. كما لم تكن لدى المسيحيين مدارس مستقلة عن الأديرة والكنائس. وقد أجمع المؤرخون تقريباً على أن أول من بنى المدارس في الإسلام مستقلة عن المساجد، كان نظام الملك الطوسي وزير الملك السلجوقي ألب أرسلان، ثم توزر الملكشاه وذلك في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري. وقد أورد التاريخ ذكر مدارس محدودة قبله، كمدرسة العالم المشهور ابن فورك المتوفي سنة (٤٠٦هـ)، والمدرسة البيهقية في نيسابور نسبة الى البيهقي المحدث المشهور المتوفي سنة (٤٥٠هـ). ولكن نظام الملك يعتبر أول من بنى المدارس، لأنه شيد مدارس كثيرة في البلاد، وكان ينفق في سبيل العلم سنوياً (٦٠٠) ألف دينار (٧٣)، حتى إنه شيد

(٧٢) تاريخ الفارقي، ص ١٨٥.

(٧٣) تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ١٩٦.

مدرسة في مدينة الجزيرة (٧٤) التي تعد أقدم مدرسة مستقلة بهذا المعنى في كُردستان. ويحتمل أن نظام الملك بنى تلك المدرسة أثناء قدومه الى البلاد الدوستكية مع ألب أرسلان في سنة (٤٦٣هـ = ١٠٧٣م) أو إثر القضاء على الحكم الدوستكي.

بصدد كون المستشفيات تضم قديماً مدارس الطب، نورد فيما يلي ما ذكره المؤرخ جرجي زيدان: "مارستان أو بيمارستان لفظ فارسي معناه مكان المرض ويقابله اليوم المستشفى، ولكن المارستان كانت في التمدن الإسلامي تشمل مدارس الطب والمستشفيات معاً لأنهم كانوا يعلمون الطب فيها" (٧٥). و"كان رئيس الأطباء يجلس لإلقاء درس الطب" (٧٦).

فعلى هذا كان في مستشفى فارقين مدرسة طبية يدرّس فيها الأطباء علم الطب، ومنهم زاهد العلماء رئيس المستشفى. فقد كان يلقي في المدرسة، التي عبر عنها ابن أبي أصيبعة بـ (مجلس العلم)، المحاضرات الطبية، وقد جمع محاضراته تلك فشكّلت الجزء الثاني من كتابه (الفصول والمسائل والجوابات)، الذي ألفه في فارقين. وبهذا الصدد قال ابن أبي أصيبعة: "... ولزاهد العلماء من الكتب كتاب البيمارستانات وكتاب في الفصول والمسائل والجوابات وهو جزءان، الأول يتضمن ما أثبتته الحسن بن سهل مما وجد في خزائنه من رقاع وكراريس وأدراج وغير ذلك من المسائل والجوابات. والجزء الثاني على جهة الفصول والمسائل وجوابات أجاب بها في مجلس العلم المقرر في البيمارستان الفارقي" (٧٧).

لاشك أن مدرسة الطب في فارقين، التي كانت ترعاها الدولة، كان لها دور في نشر الطب وتخريج الأطباء وإزدياد عددهم في كُردستان. والجدير بالذكر أن مدارس الطب في العالم الإسلامي، بما فيها مدرسة فارقين، كان التدريس فيها على منهجين، منهج نظري في المدارس الطبية ومنهج علمي للتدريب والتمريض يجتمع فيه الطلاب حول رئيس الأطباء. فيرون كيف يفحص المرضى وما يصف لهم من علاج. وإذا اجتاز الطلاب مدة الدراسة تقدموا للإمتحان ونالوا الشهادة، ولكنهم كانوا تحت رقابة الدولة في ممارستهم دائماً. أما مسألة اليمين، فقد كانت قديمة حيث كان الطبيب اليوناني أبقراط يستحلف الطلاب قبل أن يبوح لهم بأسرار الطب (٧٨). وكان هذا النهج يطبق دون شك في مدرسة فارقين الطبية.

(٧٤) ابو شامة، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين، ج ١، ص ٢٥، طبع مصر ١٢٨٧هـ.

(٧٥) جرجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ١٩٦ وكذا قاله جاك. س. ريسلر.

(٧٦) جاك. س. ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٩٤.

(٧٧) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٥٨.

(٧٨) الدكتور عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٨٨، ٢٧٦.

الأطباء

لقد قام أطباء مستشفى فارقين ومدرستها الطبية بدور فعال في مجال التأليف في علم الطب. فبجانب نشاطاتهم في معالجة المرضى ونشر الطب في البلاد، ألفوا الكتب في كيفية تحضير الأدوية وتركيبها (أقرباذين) (٧٩) وفي المستشفيات وتنظيمها. كما ألفوا الكتب في بعض الأمراض كأعراض العيون وطرق معالجتها، وفي أسماء الأمراض وإشتقاقاتها، وفي القضايا الجنسية من الناحية الصحية، وفي الطرق التمهيديّة لتعلم الطب بالنسبة للطلاب، أي في أصول تعليم الطب. فقد ألف الطبيب ابن دينار كتاباً قيماً في تحضير الأدوية، وألف رئيس الأطباء زاهد العلماء كتاباً في البيمارستانات وفي الطرق التمهيديّة لتعلم الطب، وفي أمراض العيون وكيفية معالجتها. كما ألف الفضل بن جرير التكريتي في أسماء الأمراض وألف أخوه أبو نصر في القضايا الجنسية من الناحية الصحية وفي التاريخ والنجوم.

وأما الأطباء الذين عثرنا على أسمائهم وعلى نبذة من حياتهم وأعمالهم، والذين مارسوا الطب في الدولة الدوستكية، فكلهم مسيحيون ما عدا ابن دينار، حيث لا نستطيع البت في كونه مسيحياً لأننا لم نجد نصاً يدل على ذلك. هذا في حين أن احتمال كون المذكور مسيحياً أكثر توقفاً من غيره، وأذكر في هذا الموضوع نبذة عن حياة كل واحد من هؤلاء الأطباء إجلالاً لهم وإكمالاً للموضوع نفسه.

جبرائيل بن بختيشوع

هو الطبيب أبو عيسى جبرائيل بن عبدالله بن بختيشوع بن جبرائيل، كان من أسرة بختيشوع السريانية الشهيرة (٨٠) في تاريخ الطب وأقدم أطباء الدولة الدوستكية الذين نعلم بهم. قدم إلى البلاد الدوستكية سنة (٣٩٠هـ = ١٠٠٠م) في عهد مهادالدولة سعيد بن مروان قبل تأسيس مستشفى فارقين. كان والده طبيباً للخليفة العباسي المعتذر. درس الطب في بغداد على يد الطبيب هرمزد وعلي بن يوسف الواسطي. برع في الطب وذاع صيته وعلت منزلته عند الملك البويهبي عضدالدولة، الذي قرّبه إليه. كان من الأطباء العاملين في البيمارستان العضدي ببغداد، ولما مرض الوزير العالم (الصاحب بن عباد) في مدينة الري (طهران القديمة)، إختاره عضدالدولة من بين أطباء بغداد لإجادة اللغة الفارسية ومهارته في المعالجة، وأرسله ليداوي الوزير. وجمع ابن عباد العلماء لمناظرته، فأظهر جبرائيل تضلعاً في علم الطب بما أعجب الحاضرين، فخلع عليه وطلب منه أن يؤلف

(٧٩) ورد في دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٤٦٣، طبع طهران. أن كلمة (أقرباذين) اخذت من الكلمة السريانية (جرفاذين) وأصلها يونانية تعني الرسالة الصغيرة، وقد عرّفها عيسى بن علي بأنها رسم الأدوية أو النسك أو المجموع. والحاصل أن أقرباذين هو الكتاب المؤلف في الأدوية الطبية كما يفهم من كلام ابن أبي أصيبعة في الترجمة التالية لحياة ابن دينار. وفي كشف الظنون، ج١، ص١٣٦ ان أقرباذين لفظ يوناني بمعنى التركيب أي تركيب الأدوية وقوانينها.

(٨٠) لفظ (بختيشوع) بفتح الباء وسكون الحاء وكسر التاء وسكون الياء، إسم سرياني بمعنى (عبدالمسيح). راجع (المساعد، ج٢، مادة «بختيشوع»).

له في الطب (كُنَاشاً) (٨١) يختص بذكر الأمراض العارضة من الرأس الى القدم. فألف له كتاب (الكناش الصغير) في مائتي ورقة، فأجازه بما قيمته ألف دينار. عاد بعد ذلك الى بغداد في غلمان وثروة، فسُرَّ بذلك عضدالدولة وخرج أطباء بغداد لإستقباله. وبعد ثلاث سنوات أرسله عضدالدولة الى بلاد الديلم لمعالجة خسروشاه، وطلب منه الأخير أن يؤلف تقريراً في كتاب عن المرض الذي أصيب به. فألف (مقالة) في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس.

رجع جبرائيل الى بغداد ثم سافر الى بيت المقدس وطلب منه الخليفة الفاطمي (العزير بالله) أن يتوجه الى مصر ويقيم عنده ولكنه رفض الطلب. وكانت له رجوع وأسفار أخرى، الى أن لاطفه أخيراً ممهدالدولة. فذهب الى فارقين في سنة (٣٩٠هـ = ١٠٠٠م) حيث لقي تقديراً كبيراً هناك (٨٢)، وظل يمارس الطب في العاصمة الدوستكية الى أن توفي سنة (٣٩٣هـ = ١٠٠٢م) بعد أن بلغ من العمر خمساً وثمانين سنة، ودفن في المصلى خارج سور فارقين.

وللطبيب جبرائيل بن بختيشوع عدا المؤلفات المذكورة، مؤلف الكناش الكبير في خمس مجلدات وهو أهم مؤلفاته الطبية، وكان من المؤلفات الطبية التي إعتمد عليها الأطباء وإستفادوا منها. وله مقالة في إسقاط البدن ألفه لابن عباد بناءً على طلبه أثناء رجوعه من عند خسروشاه، وكتاب المطابقة بين قول الأنبياء والفلاسفة، ورسالة عصب العين، ومقالة في الدم، ومقالة في الرد على اليهود، وله مقالات وآثار أخرى (٨٣).

عبيدالله بن بختيشوع

هو أبو سعيد عبيدالله ابن الطبيب جبرائيل المذكور، ولعله بعد وفاة والده لم يغادر كُردستان، بل ظل يمارس الطب في فارقين. ويحتمل أنه درس الطب على يد والده حتى أصبح من الأطباء البارزين ومن أصحاب المؤلفات العديدة. كان فاضلاً في صناعة الطب مشهوراً بجودة الأعمال متقناً لأصولها وفروعها ومن جملة المتميزين. كان جيد المعرفة بعلوم النصارى ومذاهبهم، وله عناية بالغة بصناعة الطب، وله تصانيف منها:

١- مقالة في الإختلاف بين الألبان ألفها لبعض أصدقائه سنة ٤٤٧هـ.

٢- كتاب مناقب الأطباء: ذكر شيئاً من أحوالهم ومآثرهم ألفه سنة ٤٢٣هـ.

(٨١) الكُنَاش، كلمة سريانية معناها المجموعة أو المذكرات سمي بعض الحكماء كتبهم بالكُنَاش. راجع الخفاجي (شفاء الغليل، ص ١٩٩).

(٨٢) ذكر القظفي قصة طريفة وقعت بين جبرائيل ومهدالدولة وخلصتها، أنه أعطي له دواءً مسهلاً في إحدى الليالي. ولما زاره في الصباح قال ممهدالدولة ممتحناً له لم يكن للدواء أي تأثير، فقال الطبيب لا بد أنه يعمل معك خمساً وعشرين مرة، ثم إعترف الممهد بتأثيره فغضب الطبيب من إمتحانه له، لأنه طبيب شهير لا يحتاج الى إمتحان فشد رحله ليغادر فارقين، فأبلغ ممهدالدولة بذلك، فجاء إليه وإعتذر منه وأعطاه بغلة ومبلغاً من النقود فقبل إعتذاره ولم يسافر.

(٨٣) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ٢٠٩-٢١٤.

- ٣- كتاب الروضة الطبية: كتبه الى أبي الحسن محمد بن علي، وقد طبع بمصر سنة ١٩٢٧ ويقع في (٥٠) باباً مثل الجنس والفصل والجوهر والفكر والحركة والزمان والمكان والكم والكيف وغيرها. وهذا الكتاب كما ذكره المؤلف في مقدمته مختصر لكتابه تذكرة الحاضر.
- ٤- كتاب التواصل الى حفظ التناسل، ألفه سنة ٤٤١هـ.
- ٥- رسالة الى الأستاذ أبي طاهر بن عبد الباقي المعروف بإبن قرطمين، جواباً على مسألته في الطهارة ووجوبها.
- ٦- رسالة في بيان وجوب حركة النفس.
- ٧- كتاب نودار المسائل المقتضية من علم الأوائل في الطب.
- ٨- كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر.
- ٩- كتاب الخاص في علم الخواص.
- ١٠- رسالة في تاريخ حياة جالينوس حقق فيها مفصلاً فيما اختلف فيه المؤرخون بصدده حياته واعتمد على الرسالة القفطي في ترجمة حياة جالينوس.
- ١١- منافع الحيوان: ذكره ابن أبي أصيبعة بإسم طبائع الحيوان وخواصها ومنافعها وأضاف بأنه ألفه للأمير نصرالدولة (٨٤) وتوجد الآن نسخ عديدة من هذا الكتاب، الذي لقي الشهرة والإستحسان. وقد تمت ترجمته الى الفارسية، كما عني به المصورون في القرون الوسطى حيث يعتبر بنسخه العديدة من المخطوطات المهمة المزوقة بالرسوم، وفي مكتبتي نسخة مصورة من هذه المخطوطة (٨٥). وفي الصفحة التالية صورة الصفحة الخامسة منها وفيها يشاهد السلطان محمود غازان على عرشه وحوله خدمه، وصورة أخرى لحيوانين من (منافع الحيوان).
- الجدير بالذكر أن الفارقي ذكر شخصاً بإسم أبي سعيد الكبير الكاتب بن بختيشوع الخازن (٨٦)، ولكنه لم يشر الى كونه طبيباً، ومن المحتمل أنه هو عبيدالله. وفي مخطوطة (الأعلاق الخطيرة) أبو سعيد حرث بن بختيشوع، وهو الذي بنى بيمارستان (مستشفى) فارقين (٨٧). كان عبيدالله مؤرخاً
- (٨٤) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ٢١٤، طبع بيروت، ١٩٦٥.
- (٨٥) في مكتبتي نسخة مصورة من منافع الحيوان، والنسخة الأصلية موجودة في نيويورك بمكتبة (مورغان) تحت الرقم (M500)، والنسخة الفارسية ترجمها من العربية عبد الهادي بن محمد محمود المراغي بأمر من السلطان محمود غازان حفيد هولاء. تقع المخطوطة في (٨٣) ورقة وتحتوي على (١٠٠) لوحة فنية لرسوم حيوانية وأدمية مختلفة عدا الزخارف. وقد قام بتصوير النسخة أكثر من رسام وعلى النسخة ختم الأمير الكردي البديسي شمس الدين بن ضياء الدين الروشكي وكتبت سنة ٦٧٤ أو ٦٧٧ هـ، إذ أن رقم الأحاد مشوه لا يظهر منه سوى حرف العين، والروشكي ليس مصوراً على ما أخطأت في الطبعة الأولى. وقد وصل الي كتاب من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة مرقم (٣٥١-١-١٢) بتاريخ ١٧/٨/١٩٧٥ يفيد ان اسم هذا الكتاب هو: عقد الجمال في طباع منافع الحيوان والإنسان، حيث ان لدى المعهد نسخة مخطوطة مصورة على مخطوطة دار الكتب المصرية تقع في (٨٣) ورقة ومسرتها (١٦) سطراً ولم يأت في مقدمتها إسم أحمد بن مروان.
- (٨٦) الفارقي، ص ١٢٣.
- (٨٧) مخطوطة الأعلاق الخطيرة، ورقة ٧٢.



السلطان محمود غازان- منافع الحيوان



حيواناتن من (منافع الحيوان)

إضافة الى كونه طبيباً ماهراً، فكتابه (مناقب الأطباء) كان مصدراً مهماً في تاريخ الطب. وتتجلى لنا أهمية الكتاب من كونه أصبح مصدراً مهماً لابن أبي أصيبعة والقفطي في تراجم كثير من الأطباء. وقد اعتبر كتابه هذا من الكتب المفقودة، ولكن ليس ببعيد العثور عليه في المستقبل. وقد توفي عبيدالله بعد سنة ٤٥٠هـ (٨٨).

زاهد العلماء

هو الطبيب أبو سعيد منصور بن عيسى النسطوري أخو المطران إيليا برشنايا الذي مر ذكره. كان طبيب نصرالدولة الذي كان يقدره كثيراً. وكان له الفضل في تأسيس مستشفى فارقين، الذي كان رئيساً لها ولأطبائها. له من المؤلفات ماعدا (كتاب البيمارستانات)، وكتاب الفصول الذي مر ذكرهما (كتاب فيما يجب على المتعلمين لصناعة الطب تقديم علمه) وهو عبارة عن منهج لتعليم الطب، وكتاب في أمراض العين وكتاب في المنامات والرؤيا. توفي زاهد العلماء قبل سنة ٤٣٨هـ = ١٠٤٦م) ودفن في بيعة فارقين (٨٩).

إبن دينار

كان أحد أطباء مستشفى فارقين في عهد نصرالدولة. كان طبيباً صيدلانياً خبيراً في صناعة الأدوية وتحضيرها. اخترع دواءً اشتهر به (الشراب الديناري) إنتشر في الأقطار المجاورة على أيدي الأطباء لما لقيه من نجاح. فكانوا يستعملونه حتى زمن الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة، أي الى القرن الثالث عشر الميلادي وبعده. وكان ابن دينار قد صنع شرابه من أكثر من عشرين مادة وهو دواء لعدة أمراض. ألف ابن دينار كتاب (أقرباذين) في كيفية تحضير الأدوية أي في (علم الصيدلة). وقال المؤرخ المذكور في ترجمته وقد وجد كتابه المذكور: "... كان بميفارقين في أيام نصرالدولة بن مروان وكان فاضلاً في صناعة الطب جيد المداواة خبيراً بتأليف الأدوية، ووجدت له أقرباذيناً بديع التأليف بليغ التصنيف حسن الإختبار مرضي الإختبار. وإبن دينار هذا هو الذي ألف الشراب المنسوب اليه المعروف بالشراب الديناري المتداول إستعماله والمشهور بين الأطباء وغيرهم والمذكور في كتابه هذا..." (٩٠). وكذا قال الخفاجي وشمس الدين سامي، حيث ذكرا انه مخترع الشراب الديناري

(٨٨) راجع بصدد ترجمة حياة عبيدالله المصادر التالية: القفطي، تاريخ الحكماء الصفحات ١٢٦، ٢٥٦، ٢٦٣. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٩١، ١٨٣٦. أفرام برصوم، نوابغ السريان، ص ٨٨. الزركلي، ج ٤، ص ٣٤٥. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٥، ص ٢٣٨. رفايل بابو اسحاق، أحوال نصارى بغداد، ص ٢١٣. مجلة المشرق، مجلد ١٢، حوالي ص ٤٨٦. دوميلي، العلوم عند العرب، ص ٢٤١. وفي إيضاح المكنون، ج ٢، ص ٣١١ لإسماعيل باشا بابان: أنه توفي سنة (٤٥٠هـ) وفي ص ٦٨١ توفي سنة (٤٥١هـ)

(٨٩) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٥٨. إيليا مطران نصيبين، الرسائل الجدلية، الورقة الأخيرة من النسخة المخطوطة، وكذلك النسخة المنشورة في مجلة المشرق الأعداد الخمسة الأولى لسنة ١٩٢٢. أخبار فطاركة كوسي المشرق من كتاب المجلد لعمر بن متي، ص ٩٩. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ١٣، ص ١٨. محمود ياسين، الإمارة المروانية في ديار بكر والجزيرة، ص ١٩٧. راجع الجزء الأول من الدولة الدوستكية، ص ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦. إسماعيل باشا بابان، هدية العارفين، ج ٢، ص ٤٧٣. قال خطأ انه توفي بعد سنة ٤٦٠هـ.

(٩٠) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٤٣. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج ٢، ص ٦٢٥.

المشهور^(٩١). وهكذا يتضح مما تقدم مدى مساهمة هذا الطبيب الكردي في الطب ومشاركته في هذه الخدمة البشرية، وكذلك مشاركة الدولة الدستورية والشعب الكردي في الحضارة الإنسانية.

أبو نصر يحيى بن جرير

كان أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي^(٩٢) أحد أطباء الدولة الدستورية وأحد أطباء مستشفى فاروقين. كان طبيباً نطاسياً له مؤلفات في عدة علوم منها الطب والتنجيم والتاريخ والرياضة البدنية، مما يدل على سعة علمه وعلو مكانته. من مؤلفاته كتاب الباه ومنافع الجماع ومضاره، ورسالة في منافع الرياضة ووجهة استعمالها، والمختار من كتب الإختبارات الفلكية ألفه لسديد الدولة أبي الغنائم عبدالكريم^(٩٣) ورتبه على فصول كثيرة^(٩٤).

وله أيضاً كتاب المصباح المرشد الى الفلاح، والنجاح الهادي من التيه الى سبيل النجاة في^(٥٤) فصلاً ذكر فيه معتقدات المسيحية وأسرارها وآدابها، وكان كتاباً مهماً في نظر المسيحيين. وله كتاب علم الفقه واعتقاد أئمة النصارى، وفي دير الزعفران القريب من ماردين قوانين بيعية منسوبة إليه وله مقالة في صلب المسيح. وقد أشار أبو النصر في كتاب المصباح المرشد الى اثنين من مؤلفاته وهما

(٩١) شهاب الدين أحمد الخفاجي، شفاء الغليل، ص ٩٨، ١٩٠، ١٠١. وفي ج ٢، من تذكرة أولي الألباب ذكر الطبيب داود الأنطاكي ان شراب الدينار صنعه بختيشوع (الطبيب)، أي جد أسرة بختيشوع كما يفهم لكن ابن أبي أصيبعة وغيره قالوا أنه للطبيب ابن دينار، فمن المحتمل أن يكون ابن دينار أيضاً من أسرة بختيشوع. أما تركيب هذا الشراب الشهير بمفعوله، فقد ذكر داود الأنطاكي أنه يصنع من المواد التالية: أمير باريس ويزر الهندباء ومن كل عشرة وعود سوس أربعة ويزر كشوت وورد منزوع القمعاق وقنطريون ودقيق المصطكي ودارصيني وفوتنج وصندل ولك وزعفران وطباشير وعود هندي و(أحياناً) الرازيانج والشبث ولسان ثور والزبيب وراوند وأسارون. وذكر الأنطاكي أن هذا الشراب جيد للحصيات والعفن وما في أعماق البدن من الأخلط الفاسدة وضعف المعدة والكبد. وفي ذيل تذكرة أولي الألباب، ص ١٧٣، وهو تأليف أحد تلامذة الأنطاكي إسمه غير معلوم ومطبوع مع التذكرة. زيادة (زهر نيلوفر) والسكر ومقدار بذر الهندباء ستون درهماً ومقدار الورد ستون درهماً أيضاً ويزر كشوت خمسة عشر درهماً وخمسة أرطال سكر. وهكذا يتضح مما تقدم مدى مساهمة هذا الطبيب الكردي في دفع الطب الى أمام ومشاركته في هذه الخدمة البشرية، وكذلك مشاركة الدولة الدستورية والشعب الكردي في الحضارة الإنسانية.

(٩٢) روي إسم أبيه جرير وحرير.

(٩٣) كان سديد الدولة ابن الوزير ابو الفضل الاتباري (ابراهيم بن عبدالكريم) وأخ الوزير ابي طاهر وكلاهما من وزراء الدولة الدستورية. ساءت أحوال سديد الدولة وأخيه بعد زوال الدولة الدستورية، حيث اعتقل اخوه في حصن كيفا من قبل ابن جهير ولما عزل الأخير سنة (٤٧٩هـ) عن ولاية ديار بكر، توجه سديد الدولة الى أصبهان واتصل بالسلطان ملكشاه فأطلق سراح أخيه. وفي سنة (٤٨٩هـ) قتل سديد الدولة في فاروقين من قبل طغتكين وزير تاج الدولة تتش السلجوقي، كما قتل أخوه ابو طاهر، وذكرنا تفاصيل قتل الأخير في الجزء الأول ص ٣١١-٣١٢. وسديد الدولة هذا كان والد سديد الدولة ابي عبدالله محمد الذي تقدم في الدولة العباسية واشتهر وولي ديوان الإنشاء ومات سنة (٥٥٨هـ). والراجع ان الطبيب ابا نصر الف كتابه المذكور في العهد الدستوري، حينما كان سديد الدولة في اوج عزه.

(٩٤) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٤٣. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٢٤. إسماعيل باشا بابان، هدية العارفين، ج ٢، ص ٥١٩. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ١٣، ص ١٨٩. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج ٢، ص ٢٢٥. الزركلي، الأعلام، ج ٩، ص ١٦٩.

الفائق وزيج التواريخ^(٩٥). كذلك ألف أبو نصر كتاباً مهماً آخر تناول تاريخ الدولة الدوستكية أسماه (الجامع للتواريخ) الذي تضمن (تاريخ الدول والممالك وتاريخ بناء المدن، والحوادث المشهورة من عهد آدم إلى دولة بني مروان) كما قال ابن شداد^(٩٦). وقد نقل ابن العديم معلومات عن هذا التاريخ بصد بناء مدينة حلب، وذكر أنه وجده بخط المؤلف^(٩٧)، كما نقل عن (الجامع للتواريخ) أيضاً ياقوت الحموي بصد بناء أنطيوخيا في مادة (حلب) ويصدد مدينة الرها أيضاً^(٩٨). لم يعثر الباحث لويس شيخو على أي أثر لهذا التاريخ ولهذا عده من التواريخ المفقودة^(٩٩).

وقد بحثت عنه (أنا) أيضاً وسألت عدداً من المكتبات في الشرق والغرب، فلم أجد له أثراً. ويتوقع أنه يستفاد منه كثيراً حين العثور عليه في مجال تاريخ الدولة الدوستكية. ولكن المثير للإستغراب أن الفارقي لم يشر في تاريخه إلى تاريخ أبي نصر ومن المستبعد عدم إطلاع عليه أو عدم سماعه به على أقل تقدير، كما أنه لم يورد لأبي نصر سوى ذكر وفاته في فارقين سنة ٤٩٧هـ = ١١٠٤م^(١٠٠). في حين ذكر إسماعيل باشا بابان وتبعه الزركلي أنه توفي في حدود ٤٧٢هـ = ١٠٨٠م^(١٠١). والجدير بالذكر أن ابا نصر كان طبيباً مسيحياً يعقوبي المذهب.

الفضل بن جرير

من أطباء الدولة الدوستكية أيضاً وهو أخو أبي نصر. كان الفضل ابن جرير من أطباء فارقين كأخيه في عهد الأمير نصرالدولة. وكان أيضاً طبيباً ماهراً وقال صاحب طبقات الأطباء في ترجمته: "أنه كثير الإطلاع في العلوم فاضلاً في صناعة الطب حسن العلاج وخدم بصناعة الطب الأمير نصرالدولة بن مروان. له من الكتب مقالة في أسماء الأمراض وإشتقاقاتها كتبها إلى بعض أصدقائه وهو يوحنا بن عبدالمسيح"^(١٠٢). وله أيضاً كتاب الذبائح وكتاب الفائق في التاريخ^(١٠٣). يحتمل أن تاريخه هذا يتضمن قسماً غير قليل من تاريخ الدولة الدوستكية.

(٩٥) مجلة المشرق، العدد (١٠) سنة ١٩٢٢، وفيها أن نسخة مخطوطة من المصباح المرشد موجودة في مكتبة الفاتيكان- بالكرشون ٢٠٥٤- وفي مكتبة أوكسفورد، ومكتبة المتحف البريطاني- ٨١٧، ٥٧٠، ومكتبة الكلدان بديار بكر، وفي مكتبتهم بسعد - لاأظن أن المكتبة الأخيرة لها وجود الآن. توجد نسخة من كتاب علم الفقه في رومية. كما توجد نسخة مخطوطة من المختار من كتب الإختيارات الفلكية في مكتبة متحف لندن تحت الرقم ٥٧٠٩ حسبما وصل إلينا كتاب المتحف البريطاني تاريخه ٧ آب ١٩٧٤.

(٩٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ١٢، مطبوع.

(٩٧) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص ١٥.

(٩٨) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٣، ج ٤، ص ٨٧٦.

(٩٩) مجلة المشرق، مجلد ١٢، ص ٤٨٦ سنة ١٩٠٩.

(١٠٠) الفارقي، ص ٢٧١.

(١٠١) إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج ٢، ص ٥١٩.

(١٠٢) طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٤٢. مجلة المشرق، العدد ١٠ لسنة ١٩٢٢.

(١٠٣) أفرام برصوم، نوابغ السريان، ص ٥.

الوزير أبو سالم الطبيب

من أطباء الدولة الدوستكية أيضاً أبو سالم الطبيب، الذي كان من أكبر الأطباء نفوذاً في الفترة الأخيرة من عصر الدولة الدوستكية، ويحتل أنه كان رئيس الأطباء وطبيب الملك الخاص. ذكر الفارقي أن الطبيب أبا سالم المسيحي كان له دكان في سوق العطارين وتقدم لدى الأمير منصور حتى جعله وزيراً (١٠٤).

يظهر من هذا أن أبا سالم لم يكن مجرد طبيب فقط، بل كان رجلاً سياسياً ذا قابلية ولباقة، ولهذا قرّبهُ الملك وجعله وزيراً له وإقتنع بإخلاصه فسلم له أمر الدولة ومهمة الدفاع عنها عندما توجه الأمير الى أصفهان لدى الملك السلجوقي ملكشاه، الذي أرسل الجيوش الى كُردستان الوسطى لإحتلالها في سنة (٤٧٦هـ). وقد برهن أبو سالم حقاً على إخلاصه اللامتناهي تجاه الدولة الدوستكية، فقد دافع عن البلاد ضد الجيش السلجوقي والقوات المتحالفة معه زهاء سنتين، الى أن إحتل ذلك الجيش المدن كلها عنوة. وهكذا صمد ولم يستسلم ولم يخن الأمير والبلاد، ولا نعلم عن مصيره على أيدي المحتلين. كما لم يسلم بعد القبض عليه للمحتلين الكثير من أموال الدولة النقدية التي أخفاها وكنمها حسبما أكد عليه الفارقي، الذي طعن كثيراً في سياسته. فقد قال الفارقي أن أبا سالم حرّض الأمير منصور على عدم الإستسلام والخضوع للسلاجقة وعلى الإستمرار في مقاومتهم، مما حمله على رفض إقتراح ملكشاه بتقسيم البلاد الدوستكية بينهما والإبقاء على جزء من البلاد في يده، وذلك أثناء حصار الجيوش السلجوقية لها. ولكن مع هذا يجب أن نعلم أن الفارقي وبدافع من التعصب الديني لم يكن يحب المسيحيين.

صيدلية أبي سالم

لعل من المقبول أن نعتبر دكان الطبيب أبي سالم الموجود في سوق العطارين بفارقين، صيدلية تضم مختلف الأدوية والعقاقير الطبية بالنسبة لذلك العصر، علماً أن العقاقير كانت في القرون الوسطى تباع في (سوق العطارين) وربما كان الطبيب شريكاً مع العطار في دكانه الذي يضم الأدوية كما قال جرجي زيدان وغيره من الباحثين، الذين إعتبروا أمثال دكان إبي سالم صيدليات ولو بالشكل البدائي أو القديم، وكما يتضح كذلك من كتاب (دعوة الأطباء) للطبيب إبن بطلان الذي سنبحث عنه. ومما لا شك فيه ان أبا سالم كان يبيع العقاقير الطبية في دكانه المذكور مع العلم ان المدن الكبيرة التي كانت تضم المستشفيات (بیمارستانات) في البلاد الإسلامية كمدينة فارقين لم تكن تخلو من الصيدليات. هذا ومن المحتمل ان يكون أبو سالم هو الطبيب الفضل بن جريز التكريتي، حيث ذكر عمادالدين الاصبهاني ان إسم أبي سالم هو الفضل النصراني وقد إلتقى بإبنه أبي الحسن عيسى بالموصل (١٠٥).

(١٠٤) الفارقي، ص ٢٠٦. راجع موضوع وزارة أبي سالم الطبيب في الجزء الأول، ص ٢٨٧.

(١٠٥) الاصبهاني، خريدة القصر، ج ٢، ٣٤٩.

ولكن الفضل بن جرير كان يلقب بأبي سعد حسبما ورد في بعض المصادر (١٠٦).
أخيراً إن إرتقاء هذا الطبيب الى منصب الوزارة لا يخلو من الدلالة على تقدير الدولة الدوستكية للأطباء وأصحاب العلم والفضل والإعتماد عليهم وتشجيعها وإكرامها لهم وللمسيحيين ايضاً في نطاق سياستها الديمقراطية.

ابن بطلان ودعوة الأطباء

هو الطبيب ابو الحسن المختار بن حسن بن عبدون وإسمه الحقيقي (يونيس). كان طبيباً مسيحياً من أشهر أطباء عصره، تنقل بين بغداد والشام ومصر والقسطنطينية. كان يعتبر نفسه وحيد عصره في الطب إضافة الى كونه أديباً لامعاً. ولما ذاعت شهرة (ابي الحسن علي بن رضوان) أشهر اطباء مصر، ذهب ابن بطلان من بغداد الى مناظرته. وظل هناك ثلاث سنوات ودخل في نقاشات حادة معه أسفرت تلك المناقشات والمناظرات العلمية عن تأليفه عدة كتب صغيرة أو رسائل من قبلهما وكل يرد على صاحبه. فكانت من اشهر المناظرات العلمية. ثم ذهب ابن بطلان الى العاصمة البيزنطية القسطنطينية. واسمه عند اللاتين هو: ELLUCHASEN ELIMITAR (١٠٧).

هذا ومع أننا لانستطيع أن نجزم بكونه من أحد أطباء الدولة الدوستكية، إلا أن له صلة بتاريخ الطب وتاريخها فيها، وكان بينه وبين الطبيب عبيدالله بن بختيشوع صداقة متينة. دخل ابن بطلان البلاد الدوستكية وهو في طريقه من بغداد الى مصر وظل في الطريق حوالي ثلاث أو أربع سنوات حيث مكث هنا وهناك (١٠٨). وقد نص بعض المؤرخين على دخوله إقليم ديار بكر (١٠٩).

ولاشك أنه إطلع على سير الطب في البلاد الدوستكية وعاصمتها بالذات. ويحتمل جداً أنه مارس مهنة الطب فيها مدة من الزمن، فأعجبه ذلك وأعجبه إهتمام نصرالدولة بالطب وتقديره للأطباء. فجسم إعجابيه هذا بتأليف كتابه الشهير (دعوة الأطباء) بإسم الأمير نصرالدولة، رغم أنه كان بعيداً عن بلاد الأمير. وبهذا يكون الكتاب بعيداً تماماً عن التملق والتزلف إذ ألف ابن بطلان الكتاب في (دير المنيح) في ضاحية العاصمة البيزنطية سنة (٤٥٠هـ = ١٠٥٨م) ألفه حسبما جاء في مقدمته على طريقة كليلة ودمنة. والكتاب في شكل أسئلة وأجوبة ومحاورات طبية ذكر فيه الأمراض المختلفة وطرق معالجتها وأسماء الأدوية وأدوات الطب المعروفة في ذلك العصر، وأورد فيه أسماء (٢٦) آلة طبية (١١٠)، إضافة الى توضيحه مسائل طبية معقدة. والكتاب في هيئة حوار خيالي دار بين طبيب

(١٠٦) مجلة المشرق، العدد العاشر لسنة ١٩٢٢. أفرام برصوم، نوابغ السريان، ص ٥. رفائيل بابو اسحاق، تاريخ نصارى العراق، ص ٩٣.

(١٠٧) دوميلي، العلوم عند العرب، ص ٢٤١.

(١٠٨) بدأ ابن بطلان رحلته من بغداد سنة ٤٣٩هـ وقيل في التي بعدها. ووصل مصر سنة ٤٤٣هـ.

(١٠٩) من هؤلاء القفطي في تاريخ الحكماء، ص ٤٩٤. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج ٢، ص ٦٠٧. رفائيل بابو اسحق، أحوال نصارى بغداد، ص ٢١٨. محمود ياسين، الإمارة المروانية، ص ١٩٧، وقد إعتبره الأخير من أطباء الدولة الدوستكية. راجع ايضاً بصدد ابن بطلان: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٩٨. وخمس رسائل لابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري، طبع القاهرة ١٩٣٧. ومجلة المشرق، العدد الأول لسنة ١٩٢٢. عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، ص ٣٧٦. رفائيل بابو اسحاق، تاريخ نصارى بغداد، ص ١٠٤.

بغداد ي زار فارقين وآخر من فارقين في السبعين من عمره (١١١)، وذلك بأسلوب أدبي رائع. دعوة الأطباء كتاب مشهور طبع أكثر من مرة، كما تُرجم إلى الفرنسية وطبع، كما شُرح من قبل علي بن هبة المعروف بابن البردي سنة (٥٠٧هـ = ١١١٤م) (١١٢).

إبن بطلان بمدح نصرالدولة وعهده السعيد

لقد وصف ابن بطلان في مقدمة كتابه هذا الأمير نصرالدولة ابن مروان وصفاً بليغاً، مشيراً إلى ما حصل في عهده من التقدم الإقتصادي والطبي بأسلوب المدح الذي يشبه الدم. فتراه يقول على لسان طبيب فارقين، وهو جالس في سوق العطارين موجهاً كلامه إلى طبيب بغداد: "ما كان يموت لي مريض سابقاً إلا وقد مرض عوضه إثنان فأنا في تضاعيف ذلك في فلك من العجب والتجمل، كأنني قرواش بن المقلد أو ملك ميفارقين وأمد... وفي كل خمس سنوات يعرض وباء وموت، فمنذ ملك ابن مروان هذه الديار كسدت الصناعة وبارت البضاعة وصحت الاجساد وإنكشف الوباء عن هذه البلاد وإنقطعت علة الخوانيق وكانت قلما فارقت الحلوq وبطلت الأمراض الخريفية وكان موسماً مألوفاً معروفاً، فصرنا لا نرى مريضاً إلا في كل حين ولا نشاهد جنازة إلا في كل زمان بعيد ولا نسمع صراخاً إلا في كل دهر مديد، حتى كأن اقبال الأمير قد عصب الابدان من الاسقام وحسن الاعضاء من الآلام، او كأنه من بين آل مروان قد اخذ للخلق من الدهر الامان..." (١١٣).

ثم يسترسل ابن بطلان في الكلام وينتقل للحديث عن ما شهدته كُردستان الوسطى في عهد نصرالدولة العظيم، من تقدم إقتصادي وكثرة الأعمال والقضاء على البطالة، كما مر في موضوع الحياة الإقتصادية. ولنكتف بهذا القدر من كلام الطبيب ابن بطلان، الذي لا يخلو من إعطاء القاريء فكرة عن تقدم الطب في الدولة الدوستكية. ونكرر مرة أخرى بأن تأليفه أشهر مؤلفاته بإسم الملك الكُرد نصرالدولة وهو بعيد عن بلاده، يبعد شبهة الرباء عن الكتاب وإشارة إلى تقدير المؤلف لإهتمام الدولة الدوستكية بالطب والأطباء، وإعجاباً منه بخصائل نصرالدولة الحميدة وسياسته الديمقراطية، التي أدت إلى تطور دولته على كافة الأصعدة.

أحمد ابن أبي الأثعث

بمناسبة بحثنا عن تاريخ الطب في كُردستان الوسطى في العصر الدوستكي، يجدر بنا أن نشير إلى

(١١٠) من هذه الآلات مكاوي الطحال والرأس، مفتاح الرحم وملزم البواسير ودراقات القولنج وقمادين الجرب ورضاص التنقيط ومجرفة الأذن وصانير السبل والظفرة وكلبات الأضراس ومخرط المناخير وقاتا طير التسويل وغيرها من الآلات التي كان يستعملها الأطباء في العمليات الجراحية وغيرها. راجع دعوة الأطباء، ص ١٠.

(١١١) رغم انه اختار للمحاورة طبييين خياليين طبيب فارقي وآخر بغداد ي، إلا ان ما تطرق اليه في كتابه أشياء حقيقية عدا إسمي الطبييين فهما خياليين. فمثلاً يقول طبيب فارقين: أنظر حسن هذا القدح فإنه حصل لي من نهب قصر الإمارة أيام الفتنة. وهذه إشارة إلى مؤامرة شيروة ونهب ما في القصر من قبل سكان فارقين أثناء ثورتهم عليه كما مر بالتفصيل في الجزء الأول، ص ١٤٧-١٦٤. توجد في مكتبة (أمبروزيانا) ميلانو الإيطالية نسخة مخطوطة مصورة من دعوة الأطباء تحت الرقم (A. 125). طالما حاولت الحصول على نسخة مصورة منها ولكن دون جدوى.

(١١٢) عبدالرحمن بدوي، التراث اليوناني. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٧٥٦.

(١١٣) دعوة الاطباء، مقدمة.

طبيب بارز ومؤلف بارع سكن بوتان (بهتان) قبيل العهد دوستكي، الذي من المعتقد أن يكون قد ترك تأثيراً في الطب وصل الى العصر دوستكي، وذلك عن طريق نشره الطب وتخليفه عدداً من التلاميذ، وهو الطبيب أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الأشعب وأصله من بلاد فارس. فقد أقام المذكور في (قلعة برقي) التابعة للإمارة البشنوية في فنك. وهناك فرع من تأليف كتابه (الغازي والمغتذي) سنة (٣٤٨هـ). وقد ذكر ابن أبي أصيبعة انه كان له تلامذة كثيرون، منهم محمد بن ثوان الموصللي وأحمد البلدي. وأورد من مؤلفاته ثلاثة وثلاثين مؤلفاً ومن أعماله العلمية حوالي الخمسين. توفي في الفترة الواقعة بين (٤٦٠ و ٤٧٠هـ) (١١٤).

لا بد هنا أن نشير الى طبيب آخر نبيغ في كوردستان وعاصر الدولة دوستكية وهو (ماسويه) المارديني، الذي توجه الى مصر وعمل في بلاط الخليفة الحاكم، وتوفي بها سنة ١٠١٥م. كان طبيباً ماهراً وحجة في الصيدلة وعُرف عند الغربيين باسم (MESUE LUNIOR) (١١٥).

التنجيم

شجعت الدولة دوستكية التنجيم أيضاً، وكان لأمرائها اعتقاد بأقوال المنجمين. فقد ذكر الفارقي أنه قدم الى البلاد في عهد نصرالدولة منجم حاذق من الهند وحكم له بمستقبل أسرته ودولته بأمر واضح. حيث قال هذا المنجم ان الدولة ستزول على يد رجل احسنت اليه. ففكر نصرالدولة ساعة ثم رفع رأسه ونظر الى وزيره ابن جهير، وقال أين أنا من هذا (١١٦). لقد قدم هذا المنجم الشهير وإسمه (إبن عيسون) الى البلاد سنة ٤٦٣هـ. وكان من أفضل علماء النجوم، وقد قرّبهُ الأمير نظام الدين حتى كات يشرب معه (١١٧) دلالة على مدى تقدير دوستكيين للمنجمين. وذكر أيضاً أنه حضر عند وفاة نظام الدين مراسم التعزية المنجمون ومن بينهم ابن عيسون الذي فتح الطالع، فوجد ان الوقت غير مناسب لتنصيب الأمير منصور الى ثلاثة أيام، فأرجي ذلك الأمر الهام بناءً على تكهنه (١١٨). ويمكن أن نعتبر الطبيب أبو نصر التكريتي من المنجمين أيضاً لسعة معلوماته في التنجيم، حيث ألف في التنجيم والفلك كتابه (المختار من كتب الإختيارات الفلكية) كما ذكرنا (١١٩). علماً ان الكتاب

(١١٤) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٢٤-٢٢٨. نقلاً عن مناقب الأطباء للطبيب عبيدالله بن جبرائيل ومن مؤلفاته كتاب البرص والبهق ومداواتهما وكتابان في الصرع وكتاب في الجدي والحصبة والحُميقاء، وكتاب في أمراض المعدة، وكتاب في الحيوان.

(١١٥) دوميلي، العلوم عند العرب، ص ٢٤٠.

(١١٦) تاريخ الفارقي، ص ١٧٢-١٧٣.

(١١٧) الفارقي، ص ٢٠١.

(١١٨) نفس المصدر، ص ٢٠٣. يظهر أن ابن عيسون غادر كوردستان في أواخر العهد دوستكي أو بعد سقوطها، الى مصر وتقدم عند الخليفة الفاطمي (المستعلي). ففي سنة ٤٨٩هـ كان بمصر وقد حكم المنجمون بأن طوفاناً مثل طوفان نوح سيحدث فسأل الخليفة ابن عيسون فقال أخطأ المنجمون ولكن يغرق خلق كثير في بقعة ما، ولكن الخليفة أخذ الإحتياطات للطوفان المزعوم، فأمر بأحكام المستنبات والسدود وكان الناس يتوقعون الغرق، فوصل الخبر بأن الحجاج غرقوا في واد بالحجاز بسيل عظيم. فأمن الناس وخلع الخليفة على ابن عيسون وعين له راتباً وذلك حسبما ذكره ابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٥٨) وكما نقل عنه الدكتور بدوي عبداللطيف في حاشية، ص ٢٠١ من تاريخ الفارقي.

ورد في بعض المصادر بإسم (كتاب الإختيارات في علم النجوم).

المكتبات

يظهر ان الدولة الدوستكية وفي نطاق إهتماماتها الحضارية، أبدت إهتماماً بإقامة المكتبات (خزانات الكتب) الزاخرة بمختلف الكتب، ليرتادها أهل العلم للإستفادة منها بالبحث والإستنساخ ولتكون مظهراً من مظاهر الحياة الثقافية والحضارية في البلاد. فقد كانت في كُردستان في العهد الدوستكي مكتبات كثيرة تضم الكثير من الكتب في مختلف العلوم ومنها: مكتبة دياربكر، ومكتبة جامع فارقين، وقد زودهما العالم والاديب أحمد بن يوسف المنازي كاتب ديوان الرسائل في الدولة بالكثير من الكتب. وأشار الفارقي الى هاتين المكتبتين، حيث قال أن المنازي "جمع كتباً كثيرة وقسمها بين آمد وميفارقين وأوقفها في الخزانة في جامع ميفارقين وخزانة أخرى بجامع آمد، وهما الى الآن بآمد وميفارقين معروفة بكتب المنازي"^(١). وأشار معظم المؤرخين الذين ترجموا للمنازي الى المكتبتين، ولم يختلف كلامهم عن كلام الفارقي^(٢). نستنتج مما ذكره الفارقي أن جناح أو خزانة كتب المنازي ظل باقياً بإسمه حتى زمانه. ويعود ذلك الى التنظيم الذي كانت تتحلى به المكتبات في كُردستان. فبقاء خزانات الأشخاص بأسمائهم في مكان أو جناح خاص في المكتبات يعتبر جزءاً من التنظيمات المكتبية، كما هو متبع الآن في المكتبات الكبيرة في الشرق والغرب. وكانت هاتان المكتبتان تؤديان وظيفة المكتبات العامة.

ونستنتج من ذلك أيضاً بأن المكتبتين ظلنا سالتين حتى سبعينيات القرن السادس الهجري (بما أن الفارقي بدأ بتأليف تاريخه سنة ٥٧٢هـ). وإستمرت أعداد المخطوطات التي تحتويها المكتبتان بالإزداد بمرور الزمن. ولعل مكتبة جامع دياربكر هي التي إستولى عليها صلاح الدين الأيوبي وأخرج منها كتباً هائلة. فقد ذكر الكاتب الكُردي الأستاذ أبو زيد مصطفى السندي، أن صلاح الدين لما إستولى على دياربكر (آمد) في سنة (٥٧٩هـ = ١١٨٤م) وجد فيها مكتبة كبيرة تحوي مليوناً وأربعين ألف مجلد^(٣).

(١١٩) (علم الإختيارات) علم يبحث عن أحكام كل وقت وزمان من الخير والشر وأوقات يجب الإحتراز فيها عن إبتداء الأمور، وأوقات يستحب فيها مباشرتها... وذلك بحسب كون الشمس في البروج والقمر في المنازل وما بينهما من المقابلة أو التربيع أو التسديس. وهذا العلم هو فرع من فروع علوم النجوم كما ورد في (مفتاح السعادة، ج١، ص ٣٦٠، طاش كبرى زاده) وفي (كشف الظنون، ج١، ص ٣٤٤. قال حاجي خليفة، وقد ألف في علم الإختيارات عديد من العلماء مثل بطليموس والبيس المصري وكنكه الهندي وكشيار بن لبنان الجبلي وسهل بن نصر وهبة الله بن شمعون وغيرهم.

(١) الفارقي، ص ١٣١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٥٤. تاريخ ابن الوردي، ج١، ص ٣٤٩. الشيخ عباس القمي، الكنى والألقاب، ج٣، ص ١٨٠. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج٢، ص ٧٦٥. فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج١٠، ص ٢٥٣.

(٣) مجلة (پهرورده و زانست) العدد الثاني السنة الأولى، ص ٥٩، مقالة بعنوان (ميثويين خواندني) نقلاً عن ابن الأثير في (البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣١٣). وأضاف ابن كثير (وقد راجعته فيما بعد) ان صلاح الدين وهب الكتب كلها لوزيره العالم القاضي الفاضل، فإنتخب هذا منها ما حمل به سبعين حمارة. إن هذا العدد وهو (مليون وأربعين ألفاً) رقم هائل جداً لذلك يوهم بالمبالغة. ولعل ابن كثير نقل عن ابي شامة المقدسي مؤرخ الدولة الأيوبية، الذي ذكره أيضاً =

وذكر ابن شداد في الوقعة (٩١) من (الأعلاق الخطيرة)، أن الوزير أبا القاسم المغربي وزير نصرالدولة جعل خزانة كتبه بميفارقين وقفاً ولا زالت معروفة بخزانة المغربي حتى الآن (أي النصف الأخير من القرن الثالث عشر وقت تأليف ابن شداد لكتابه في سنة ٦٧٩هـ = ١٢٨٠م). وإن لم تكن المكتبة التي وقف هذا العالم كتبه عليها مكتبة جامع فارقين فإنها مكتبة عامة أخرى.

لم تكن المكتبات في كُردستان عبارة عن مكتبة جامع دياربكر ومكتبة جامع فارقين فقط، بل كانت هناك مكتبات أخرى في كثير من المساجد وفي الكثير من الكنائس والأديرة كانت هناك مكتبات زاخرة بالكتب الثمينة، منها مكتبة البيعة الملكية في فارقين. ومن هذه المكتبة إستفاد المؤرخ الكُردستاني أحمد بن يوسف الفارقي في وضع كتابه (تاريخ ميفارقين وأمد)، إذ كان هناك في المكتبة كتاب سرياني بإسم (التشعيث) في تاريخ بناء مدينة ميفارقين، فترجمه له أحد المسيحيين ونقل عنه معلومات بهذا الخصوص (٤).

مكتبة دير قرتمين

كانت إحدى المكتبات العامرة مكتبة دير (قرتمين) اليعقوبي في طورعبدین (طوری) شرق ماردين وكانت تضم كثيراً من الكتب من بينها كتب تاريخية. كانت المكتبة في سنة (١٠٢٠م) بإدارة الراهب مار شليمون السبريني (المنسوب الى قرية باسبرينا من طورعبدین). وقد زارها في السنة المذكورة يوحنا الرابع السبريني أسقف طورعبدین، فوجد ان الكتب والآنية المقدسة والطقوس الكنسية كاملة وسالمة. فأصدر توجيهاته بالإهتمام والمحافظة الشديدين على محتوياتها. وكان الخطاط عمانوئيل ابن أخ الأسقف قد زود تلك المكتبة بما كتبه بخطه على الرقوق ومقداره سبعون مجلداً، وأهدى عمانوئيل على ما قاله البطريك (أفرايم برصوم): "الدير أي مكتبتها كتباً لا مثيل لها في العالم" (٥).

ولما زالت سعادة المسيحيين بل سعادة شعب كُردستان الوسطى كلها بسقوط الدولة الدوستكية، وأقبل عهد السلب والنهب والإضطهاد أثناء الحكم السلجوقي. تعرضت هذه المكتبة في سنة (٤٩٥هـ = ١١٠٠م) الى التدمير، عندما أغار التركمان السلاجقة على منطقة طورعبدین وأطلقوا أيديهم في السلب والنهب والقتل وأجلى السكان الى ما وراء حصن الصور (٦).

=في كتاب الروضتين، ج ٢، ص ٣٩ ونقل أبو شامة ذلك عن عماد الدين الاصبهاني كاتب صلاح الدين.
(٤) تاريخ الفارقي، ص ١٥ مقدمة الأستاذ الدكتور بدوي عبدالطيف نقلاً عن القسم غير المطبوع من تاريخ الفارقي.

(٥) أفرايم برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية، ص ٢٢.

(٦) ورد ذكر قلعة صور في عدد من المصادر وهي تقع في القسم الشمالي من منطقة طورعبدین في منطقة جبل قورس. كانت قلعة حصينة. في أوائل هذا القرن زار مدينة صور إسحق أرملة وقال أن القلعة تتوسط المدينة هي تطل على جهات قرية الأحمدى الشهيرة وقلعة قلث، وفي المدينة ثلاثة أسواق وفيها جامع شيد سنة ١١٩٥هـ وفيها منارة ذات (٣٦) درجة تعلوها قبة ذات نقوش لطيفة. وكانت فيها بيعة أن السبعة ولكنها تحولت الى جامع. كانت صو حافلة بالمسيحيين في القرن السابع الميلادي، ولكن معظمهم إعتنق الإسلام في القرن الاثني عشر. راجع مجلة المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣، ص ٥٧٣: سياحة في طورعبدین لأسحق أرملة. ويحتمل أن صور هي بلدة (SAVUR) وهي مركز قضاء تابع لولاية ماردين في شمالها الشرقي وبينهما حوالي (٣٠) كلم ونفوسها (٤٠٠٠) نسمة وذلك سنة ١٩٦٥. وفي حياة إنسايكلوپيديسي، ص ١٣٦ لسنة ١٩٧٠ ان قلعتها تعود الى عصر الرومان.

وقد تعرض هذا الدير أيضاً لنهبهم حيث نهبوا ما فيه من التحف الثمينة وأتلفوا الكتب، حتى إن أوراق بعض الكتب الثمينة ومنها كتاب عن تاريخ الدير وصلت الى نصيبين. ولكن الرهبان بذلوا جهوداً في جمع أوراقه فجمعوها كلها عدا ورقة واحدة. ولم يجر تنظيم هذه المكتبة إلا بعد أكثر من نصف قرن، وذلك في سنة ١١٦٩م بالذات. حيث تم تنظيمها وجدد (١٧) مجلداً من كتبها يخط عمانوئيل والريان جبريل السبريني والريان موسى الراهب الكفرسلطي^(٧). والجدير بالذكر أنه كانت في دير قرتمين مدرسة كبيرة تدرس فيها العلوم المسيحية. كما كانت في دير زقنين القريبة من دياربكر مدرسة شهيرة^(٨). ومن المكتبات المسيحية مكتبة دير مار يوحنا قورديس في مدينة دارا، وفي المتحف البريطاني مخطوطة قديمة من مخطوطات هذه المكتبة باسم (الكتاب المنسوب الى الأريوفاغي) كان قد وقفها على هذه المكتبة لعازر مطران بغداد في القرن التاسع الميلادي^(٩)، مما يدل على أن المكتبة قد أنشأت قبل العهد الدوستكي. وكان دير أتنوس في منطقة رأس العين يضم مكتبة أنشئت من قبل أثناسيوس النعال مطران فارقين في أواسط القرن الثامن للميلاد. وكان هذا الدير مركزاً للعلم، حيث تخرج منه خمسة عشر أسقفاً في سنة (٧٤٠هـ = ١٠٤٢م) (١٠).

تطور الكتابة الكوفية المزخرفة في الدولة الدوستكية

إتنبه بعض المستشرقين وعلماء الآثار منذ أوائل هذا القرن الى كنز ثمين من الكتابات الكوفية الأثرية المتطورة تطوراً كبيراً في مدينة دياربكر، الموجودة على آثارها العمرانية وبالأخص سورها وجامعها الكبير (أولوجامي). وإهتم هؤلاء بدراسة هذه الكتابات لإبراز خصائص تطور الكتابات وميزاتها الفنية حسب العهود والتواريخ المختلفة ومقارنتها بالكتابات الكوفية في بقاع متباينة من العالم الإسلامي. فقد لاحظ هؤلاء من خلال دراستهم العامة، ان القرن الحادي عشر الميلادي كان عصر نضوج الكتابات الزخرفية^(١١)، وإن كتابات دياربكر العائدة للعهد المرواني (الدوستكي) تعد من أرقى الكتابات الكوفية المتطورة في العالم الإسلامي. وأول من جلب أنظار الباحثين الى كتابات

(٧) أفرام برصوم، تاريخ طورعبددين، ص ٢٧٢، ٢٧٦. أفرام برصوم، اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم السريانية، ص ٢٢. نقلاً عن مخطوطة (سفر الحياة في باسبرينا في تاريخها الكنسي)، وعن سيرة مار شمعون الخطية. والجدير بالذكر ان مكتبة دير قرتمين كانت قد أنشئت قبل العهد الدوستكي وازداد عدد مخطوطاتها في هذا العهد وسبق وإن زودها مار شمعون الزيتوني مطران (حاران) بـ (١٨٠) مجلداً.

(٨) نفس المصدر، ص ١٩.

(٩) أفرام برصوم، اللؤلؤ المنشور، ص ٢٥.

(١٠) نفس المصدر، ص ٢٣.

(١١) الخط الكوفي: يعتبر من الخطوط العربية وله عدة أقسام: (١) الكوفي البسيط الذي لا يلحقه تزويق أو تخميل أو تضيفير ومادته كتابية بحتة. (٢) الكوفي المورق وتلحقه زخارف تشبه أوراق الأشجار تنبعث من الحروف القائمة والحروف المستلقية وبالأخص الحروف الأخيرة كسيفقان رفيعة تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال. (٣) الكوفي ذي الأرضية النباتية تستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النباتات اللولبية وأوراقه. ويسمى الكوفي المخمل. (٤) الكوفي المضفر (هوناندي) وهو نوع من الزخارف الكتابية التي بولغ في تعقيدها الى حد يصعب معه أحياناً تمييز العناصر الزخرفية وتضفر حروف الكلمة الواحدة وأحياناً تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر. (٥) الكوفي الهندسي الأشكال وأقدم هذا النوع يعود الى القرن الثالث عشر الميلادي.

دياربركر (آمد) المستشرق (فان برشم) الذي زارها في أوائل القرن العشرين وألف كتابه الضخم (AMIDA). يختص الكتاب بآثار دياربركر (آمد) وفيه صور للكثير منها ولكتابتها المزخرفة من العهد الدوستكي والعهد السابقة كالعهد السلجوقي، والذي كان في الحقيقة إمتداداً للعصر الدوستكي (المرواني) من ناحية الكتابة.

وفي سنة ١٩٢٠م قام تلميذه السويسري (فلوري) بدراسة الكتابات الكوفية في جامع دياربركر والجامع الأزهر وجامع الحاكم بالقاهرة والقيروان بتونس، وهو يرى في الأشرطة الكتابية المزخرفة في دياربركر نوعاً من أجود مبتكرات الفن الإسلامي وأروعها، وهو يبدي دهشته من إهمال مؤرخي الفنون أمر دراسة تلك الأشرطة الكتابية.

إن فلوري الذي وصفه الدكتور إبراهيم جمعه بعميد الباحثين في الكتابة الكوفية، يرى في آمد أي دياربركر أصلح مكان لدراسة فن الأشرطة الكتابية المزخرفة، إذ تتوافر فيها الشروط الواجب توفرها في الدراسة العلمية المنظمة. فهناك من الآثار المؤرخة تاريخاً دقيقاً ومن الصفات الفنية العالية ووحدة المادة الكتابية عليها ما يساعد على مثل هذه الدراسة. ويتفق فلوري مع فان برشم على أن النقوش المروانية والسلجوقية في آمد تعتبر من أروع المنتجات الكتابية في العالم. ويضيف الى ذلك انه لكي يدرس الإنسان أشرطة (آمد) لا بد له من دراسة الحروف الأجدية الكوفية، التي أصبحت منذ القرن الحادي عشر الميلادي أدوات للتزيق وخضعت في تطورها لقوانين الزخرفة الإسلامية خضوعاً تاماً.

ويلاحظ فلوري أن الفن الإسلامي العربي، الذي توجد منه أمثلة طيبة في القاهرة الفاطمية، لم تنل الكتابة فيه مثل هذه الصفات الزخرفية الممتازة التي تتصف بها كتابات آمد... ثم يتناول فلوري كتابات آمد المؤرخة في سنة (٤٣٦هـ) بإسم الأمير أحمد، فيقول عنها بأنها من النوع المورق المتطور تطوراً كبيراً، ويصف حروفها ويتكلم عن الزخارف التي تلحقها، ويقارن زخارفها بزخارف جامع الحاكم، ويشير الى الزخرفة القوسية التي نراها في القوائم، ثم يحللها تحليلاً أجبدياً. ثم ينتقل الى نقش أمدي آخر مؤرخ في (٤٣٧هـ) فيه عناصر زخرفية جديدة، ويصف حروفه ويحلله تحليلاً أجبدياً. ثم ينتقل الى كتابة مؤرخة سنة (٤٤٤هـ) لا تختلف من حيث أسلوبها الكتابي عن سابقتها ويرى فيها تطوراً في فن الزخرفة، وهو كعادته يصفها وينوه بزخارفها ويحللها تحليلاً أجبدياً. لقد أجاز فلوري لنفسه بعد هذه الدراسات أن يفرد لآمد أسلوباً كتابياً خاصاً بها (٢).

وفي سنة ١٩٢٢ تناول فلوري نوعاً من كتابات آمد يختلف بعض الشيء عما سبق ان عالجه منها وهو النوع المظفر. ولكي يتمكن فلوري من فهم كتابات دياربركر المظفرة فهماً صحيحاً ودرسها دراسة صحيحة ويصل الى ميزاتها وخصائصها الفنية، بدأ بدراسة الكتابة الكوفية المظفرة في (راديكان) جنوب بحر قزوين في إيران المؤرخة سنة (٤٠٧هـ)، ليتخذ منها أساساً لفهم كتابات دياربركر المظفرة (٣). وستجد العديد من صورها في ملحق صور الكتاب.

(٢) الدكتور إبراهيم جمعه، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص ٣٣-٣٤.

(٣) الدكتور إبراهيم جمعه، ص ٣٤.

الزخرفة الحيوانية

هناك صفة فنية أخرى للكتابة الدوستكية لم يتطرق اليها الباحثون وهي الزخرفة الحيوانية . فقد إستعملت الدولة الدوستكية في الزخارف الكتابية على بعض آثارها رسوم بعض الحيوانات مثل الكتابة المؤرخة سنة (٤٤٤هـ) ، حيث يوجد رسم لحيوان يشبه النمر بين الزخارف النباتية على هيئة التسلّق. كما يوجد رسم لطير الهدهد(٤) وهو واضع رجله على حرف العين من كلمة (وأربعمائة) في الكتابة المؤرخة سنة (٤٦٠هـ) الموجودة على برج مربع من سور دياربكر(٥).

وفي رأيي أن الزخرفة الحيوانية ميزة أصلية من مميزات الكتابات الدوستكية وميزة فنية مبتكرة، أدخلتها الدولة الدوستكية أول مرة في الكتابة الكوفية المزخرفة. إذ لا توجد الزخرفة الحيوانية في الكتابات الكوفية قبل العهد الدوستكي. وقد إنتقل هذا النوع من الزخرفة الى الكتابات السلجوقية الموجودة على بعض آثار دياربكر من عهد ملكشاه وذلك تقليداً وتأثراً بالكتابات الدوستكية التي شهدت تطوراً كبيراً في العهد السلجوقي. وتجدر الإشارة الى أن الدولة الدوستكية (المروانية) إستعملت الزخرفة الحيوانية على الكتابات الموجودة على نقودها أيضاً، كما مر ذكره في موضوع العملة الدوستكية.

"تعليق الصورة: بسملته... مما أمر بعمله والإنفاق عليه من ماله مولانا الأمير السيد الأجل المنصور عز الإسلام سعدالدين نصرالدولة وركن الملة ومجد الأمة شرف الأمراء أبو نصر أحمد بن مروان أطل الله بقاءه وأدام سلطانه وجري ذلك على يد القاضي أبي علي الحسن بن أحمد الأمدي في سنة أربع وأربعين وأربعمائة والبناء نصير بن سبا"(٦).

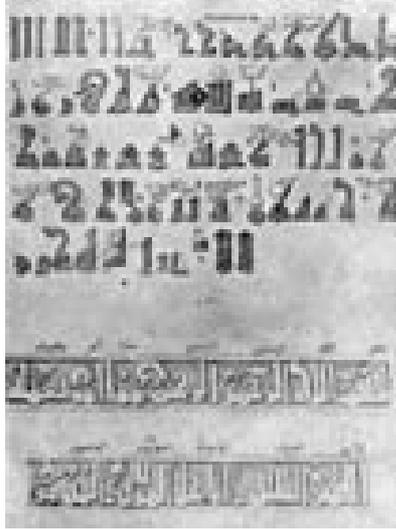
وقرر فلوري بعد دراسته للوحات دياربكر ان شرق العالم الإسلامي انتج انواعاً مختلفة من المخطوط الكوفية لم ينتج غربه مثيلاً لها(٧). أما (مارسيه) وهو أحد الباحثين في الكتابة الكوفية، الذي كتب عن الكتابات الكوفية الموجودة في شمال أفريقيا والأندلس (أسبانيا)، فأكد على أهمية كتابات دياربكر في فنها الزخرفي وقال: ان النضج الذي إنتهت إليه الكتابة حتى أصبحت فيه عاملاً زخرفياً، إنما تم وإكتمل في شرق العالم الإسلامي. وهو يشارك فلوري الرأي في ان كتابات دياربكر مثال

(٤) إن في إختيار النمر إشارة الى القوة وخفة الحركة، أما الهدهد فطائر يتمتع بنوع من التقدير والإحترام بسبب وردو ذكره في القرآن ونقله لأخبار الملكة بلقيس للنبي سليمان بن داود، كما يتعلق بإعتقادات قديمة في الطب والطب النفساني منها أن لحمه شفاء من المغص والقولنج وتخثر الدم، وحمل لسانه وريشه يورث الجاه والقبول وعظم جناحه الأيسر المثلث يعقد الألسن ويورث المحبة وتعليقه مذبوحة على الباب يدفع السحر والنظرة، وحمل عينيه يقوي الحفظ ويذهب النسيان، وإذا لفت أظفاره وريشه في حبر أصفر ودفن تحت فراش المتباغضين تحل المحبة بينهما وما الى ذلك من كما هو مفصل في تذكرة دادو الأنطاكي، ج١، ص٢٣٤-٢٣٥.

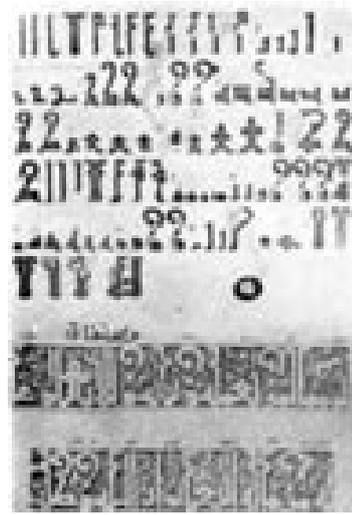
(٥) راجع نص الكتابة وصورة الأثر في موضوع الحياة العمرانية، وراجع أيضاً الهدهد في موضوع النحت.

(٦) ص٢٨ من بسري كونيار DIYARBAKIR TARIKHİ و VAN BERCHM / AMIDA . الصورة من المصدر الأخير. في بدائع الخط العربي ص٢٥٤ لناجي زين الدين لوحة ٩٧ صورة كتابة محللة تحليلياً أبجدياً مؤرخة بسنة ٤٤٤هـ، ذكر المؤلف انه نقلها من فلوري وان الكتابة على جامع دياربكر. وأضاف أنها من أروع المنتجات الفنية في العالم. والراجع أن هذه الكتابة هي الكتابة المذكورة على السور لا الجامع.

(٧) ناجي زين الدين، بدائع الخط العربي، ص٤٥٢.



كتابة دوستكخية- ٤٤٤ هـ



كتابة دوستكخية- ٤٢٦ هـ

طيب لما بلغته الكتابة من الإتقان الزخرفي (٨).

أما الدكتور زكي محمد حسن وهو أحد مؤرخي الفنون الإسلامية، فقد أشاد هو الآخر بكتابات دياربكر، وقال إن استخدام الزخارف الكتابية كان أكثر إتقاناً في الأقطار الإسلامية منه في غربي العالم الإسلامي. وحسبنا أن أيدع تلك الكتابات يُنسب إلى إيران ودياربكر (٩). وقد أشار المستشرق (ديمان) إلى مدى تطور الخط الكوفي في فن الزخرفة في عهد الدولة الدوستكخية وإلى خلو الزخرفة العباسية (سابقاً) منه (١٠).

وفعلاً كانت الكتابات العائدة للعباسيين والموجودة على سور دياربكر، من الكتابات الكوفية البسطة الخالية من الزخرفة. ومن هذا نستنتج أن التطور حصل في عهد الدولة الكردية على أيدي أمهر الخطاطين في كردستان. أخيراً بعد أن أقر هؤلاء الباحثون بأن الكتابات الكوفية المزخرفة في الشرق، بما فيه كردستان، أكثر تطوراً منها في غرب العالم الإسلامي ابتداءً من مصر. وبعد أن أقر فلوري عميد الباحثين بتفوق الكتابات المروانية والسلجوقية في دياربكر على كتابات القاهرة، واعتبرها الباحثون من أروع النماذج وبعد أن اعتبر فلوري أن مدينة (أمد) أصلح مكان في العالم الإسلامي على الإطلاق لدراسة فن الاشرطة الكتابية... وبعد هذا كله نستطيع أن نحكم بأن الكتابات الدوستكخية كانت من أرقى الكتابات الكوفية المزخرفة في العالم الإسلامي حتى ذلك العصر، وانها بلغت أرقى تطورها في كردستان على أيدي أمهر الخطاطين والرسميين في الدولة الدوستكخية. وهذا

(٨) إبراهيم جمعه، ص ٣٧.

(٩) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص ٢٧٩.

(١٠) م.س. ديمان، الفنون الإسلامية، ص ١٠٠.

ابيضاً اثر من آثار الحضارة الكُردية في عهد تلك الدولة، لأن الخط كما قال ابن خلدون تابع للعرمان (الحضارة). وأخيراً فقد خطأ بعض هؤلاء الباحثين في نسبة نماذج من الكتابات الدوستكية الى العهد السلجوقي، أي الى السلاجقة، رغم أن التواريخ الموجودة فيها خير دليل على هذا الخطأ. وتلك النماذج الدوستكية أكثر تطوراً من كتابات العهد السلجوقي والعهود التي تلتها.

جدید الكتابة السطرنجيلية السريانية

يعتبر الخط السطرنجيلي نوعاً من أنواع الخط السرياني، وقد لقي إهتماماً من قبل المسيحيين في كُردستان في عهد الدولة الدوستكية. وكان هذا الخط قد تعرض للنسيان في طورعبدین منذ مائة سنة، إلا أن المسيحيين الذين تمتعوا بأكبر قدر من الحرية في العد الدوستكي، قاموا بتجديده وكان رائدهم في ذلك يوحنا الرابع السبريني أسقف طورعبدین في (٩٩٨هـ = ١٠٣٥م). فقد تم تجديد هذا الخط بواسطة الكتب القديمة، وشجع يوحنا أبناء أخيه على تعلمه وإجاده. فبرع منهم عمانوئيل، الذي كتب بخطه الجميل سبعين مجلداً من الترجمان البسيط (فشيطة)، والحرقلية،... (وأهدى دير قرتمين كتاباً لا مثيل لها في العالم) (١١).

كما برع يحيى أخو الأسقف يوحنا الرابع في دقة الرسم والتصوير. وبذل يوحنا جهداً لتوفير مواد الكتابة، فأرسل (إبن أخيه) بطرس الى مدينة ملاطيه لجلب الرق (١٢)، أي لشراء الرقوق (الجلود الجاهزة للكتابة). وكان الرق مادة كتابية قديماً كالعظام والبردي وغيرها قبل توفر الورق. ويظهر من ذلك، أن الرقوق كانت حتى ذلك التاريخ تستعمل في الكتابة في كُردستان. ومن الخطاطين في العهد الدوستكي جبريل أخو عمانوئيل والريان موسى الكفرسلطي والأسقف يوحنا نفسه، والراهب توما بن يوسف المدوي، وبترس شقيق عمانوئيل، وحايا الراهب شقيقه أيضاً والراهب صليبا (١٥م) (١٣).

وقد تلقى هؤلاء الخطاطون السريان التشجيع من لدن يوحنا الرابع على تعلم الكتابة السطرنجيلية الصعبة ونشرها. وهو ما أتاح له ولتلاميذه تجديد هذه الكتابة وإحيائها. ومن الخطاطين أيضاً البطريك اليعقوبي يوحنا بن شوشان (١٠٥٨-١٠٧٢م)، الذي نقل الكرسي البطريركي اليعقوبي من أنطاكية الى مدينة دياربكر في العهد الدوستكي (١٤).

(١١) توجد نسخة من الإنجيل بخط عمانوئيل في مكتبة برلين تحت الرقم (٣٠٤) ونسخة أخرى في مكتبة البطريركية اليعقوبية في دير (مار مرقس) على ما في اللؤلؤ المنشور، ص ٣٦٧.

(١٢) البطريك أغناطيوس أفرام برصوم، تاريخ طورعبدین، ص ٢٣٤، ٢٧٢. ورد في اللؤلؤ المنشور لأفرام برصوم، ص ٢٩ إسم الرسام المذكور (يعيش) بدلاً من (يحيى) ومن هذا يظهر أن اللفظين إنما هما الترجمة العربية لإسمه السرياني.

(١٣) أغناطيوس أفرام برصوم، تاريخ طورعبدین، ص ٣٤٢. اللؤلؤ المنشور لنفس المؤلف.

(١٤) أفرام برصوم، اللؤلؤ المنشور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية، ص ٤٨٨. وفي هذا المصدر ورد بين الخطاطين القس بطرس بن الشماس آل سابا السبريني، ويوسف الملطي. وكان يوسف بارعاً في النقش والتصوير، فضلاً عن كونه شاعراً أيضاً. وفي الحقائق الجليلة، ص ٧٢ إتخذ البطريك يعقوب الثالث سنة (١٠٧٢م) بداية عهد ابن شوشان لا نهايته.